ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

الأئمة الأعلام وبدور التمام

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الأئمة الأعلام وبدور التمام!

(فخرٌ لكل شاعر أن يحتوي ديوانه على الأئمة الأعلام وبدور التمام!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

ابن مماتي مؤرخ صعيدي

(إن الأستاذ / يسري عبد الغني عبد الله قد أثرى المكتبة الإسلامية بكتابه الفذ (معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري). وكنت أظنه لن يذكر ابن مماتي ذلك الصعيدي المؤرخ. إلا أنه ذكره ص 181 ، وأفاض عن سيرته ، ونشير إلى ما أورد: (هو الأسعد بن المهذب. صاحب كتاب: "قوانين الدواوين" الذي نشره عزيز سوريال عطية بالقاهرة عام 1943م. وينتمي ابن مماتي إلى أسرة من نصارى أسيوط ، ولِيَ أفرادٌ منها مناصبَ هامة في الإدارة المصرية زمن الفاطميين والأيوبيين. وتولى أبوه ديوان الجيش في أواخر عهد الدولة الفاطمية وأوائل عهد الدولة الأيوبية ، واعتنق الإسلام هو وأولاده ، وخلفه ابنه الأسعد ـ مؤلف هذا الكتاب ـ على ديوان الجيش ، وأضاف إليه صلاح الدين وابنه العزيز ، ديوان المال. واختص بصحبة القاضي الفاضل. على أن تقرر عزله ومصادرة أملاكه ، فلجأ إلى حلب فحباه بفضله صاحبها غازي بن صلاح الدين ، وبقي بها حتى مات سنة 606هـ 1210م. ولابن مماتي تصانيف عديدة لها فائدة علمية. ولعل أهم كتبه قوانين الدواوين ، الذي صنفه للعزيز بن صلاح الدين ، تناول فيه كل ما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها وأحوالها وما يجرى فيها. وكان يقع في أربعة أجزاء ضخمة ، ثم جرى اختصاره ، في هذا المؤلف ذكر أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحتها وقانون ريها ومتحصلها من عين وعلة. والموضوعات التي يعرض لها المؤلف تشتمل وصف جغرافية مصر زمن الدولة الأيوبية ، حيث أشار إلى حدود مصر والنيل ، والأقاليم والنواحي! وعالج الضياع والكفور والجزائر ، والترع والجسور وكل ما يتصل بالديوان. كما تصدى المؤلف إلى كثير من المسائل المتصلة بنظم الحكومة الأيوبية ، فاستعرض وظائف الدولة واختصاص كل منها ، وشرح موارد البلاد ونفقاتها ، ثم أسهب في ذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري ، وتدل هذه المعلومات على ما بلغته الزراعة والفلاحة من التقدم في العهد الأيوبي ، على أن ابن مماتي اكتفى بالإشارة إلى الوحدات المالية ، ولم يلجأ إلى تفصيل عبرات البلاد ومساحاتها ، لأنها من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها بين الناس).هـ. وفي موقع: (المعرفة) طالعنا بعض المعلومات عن ابن مماتي ، منها: (هو الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي وشهرته ابن مماتي (1149 – 1211م) ، هو مؤرخ مسلم ، أديب ، شاعر ، مصري من القرن السادس الهجري ، صاحب مؤلفات حسان. ويعود مماتي بأصوله إلى أسيوط. ممّاتي لقب جده أبي المليح ، وكان كثير الصدقة والإطعام لصغار المسلمين ، فإذا رأوه نادوه «ممّاتي» فاشتهر به وغلب عليه. وكان من كتّاب الدولة الفاطمية أيام بدر الجمالي ، وقد جمع بين الفضل والنبل حتى حاز محبة الناس، وأثنى عليه الشعراء.[محمد عدنان قيطاز. "ابن مماتي". الموسوعة العربية]. أما أبوه مهذب بن مينا فكان كاتب ديوان الجيش في أواخر العهد الفاطمي وبداية العهد الأيوبي. وقيل كان على ديوان الإقطاعات وهو على دين النصرانية. وفي عهد السلطان صلاح الدين بن يوسف ، جمع المهذب أولاده ودخل على السلطان ، وأسلموا على يديه ، فقبلهم وأحسن إليهم ، وزاد في ولاياتهم ، وبقي أبوه في الديوان حتى وفاته. خلف أسعد أباه على ديوان الجيش ، وتصدّر فيه مدة طويلة ، وأضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية ديوان المال ، وهو أجلّ ديوان في مصر. وكانت تربطه بالقاضي الفاضل مودة وصحبة ، وحظي عنده ، ونبّه على فضله. لم يزل أسعد مرموقاً في عهد السلطان صلاح الدين إلى أن ملك أخوه العادل أبو بكر الديار المصرية ، وكان وزيره صفي الدين بن شكر يضمر لأسعد السوء بسبب رئاسته عليه ،

ولكنه لم يظهر حقده عليه إلا بعد أن فوض إليه جميع الدواوين مدة سنة ، ثم حيكت عليه المؤامرات حتى وقع بين يديه ، ولم يلتفت لأعذاره ، ونكبه شرّ نكبة ، وغرّمه أقبح تغريم ، ولكنه تمكن من الهرب من مصر إلى حلب سنة 604هـ ، إبان دولة الظاهر الغازي بن صلاح الدين عليها ، فأكرمه ونعّمه حتى وفاته سنة 606هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة ، ودفن بظاهر حلب على مقربة من قبر أبي بكر الهروي. وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان لابن مماتي ثلاثةً وعشرين كتاباً ، وقال: «له تصانيف كثيرة يقصد بها التأدب. لم تكن مفيدة إفادة علمية ، غير أن ياقوتاً لم يذكر كتاب «قوانين الدواوين» وهو أشهر كتبه على الإطلاق. ومن هذه التصانيف «سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب» ، «كرم النِجَار في حفظ الجار» ، «قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن حجاج» ، «أعلام العصر». كان الأسعد موسوعة في الأدب والفقه واللغة ، وذكر ياقوت الحموي له أكثر من عشرين مؤلفاً ، من أشهرها: (حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم ، وقد قال عنه القاضي الفاضل: إنه والله من أهم ما طالعه الملوك ـ نظم السيرة الصلاحية في سيرة صلاح الدين الأيوبي ـ الفاشوش في حكم قراقوش ـ الشيء بالشيء يُذكر ـ باعث الجلد عند حادث الولد ـ تلقين اليقين في الكلام على حديث بني الإسلام على خمس ـ سر الشعر). وأما أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق فهو كتاب قوانين الدواوين الذي يُعتبر موسوعة شاملة لحالة البلاد المصرية في القرن السادس الهجري ، حيث تناول باستفاضة جغرافيتها وشيئاً من تاريخها ، وتفصيل نواحيها وقراها وتأصيل أسمائها ، وأنظمة الحكم والدواوين والوظائف ، وشئون الزراعة وغيرها. وله كتاب: لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة ، ولعل أول من أشار إلى كتابه قوانين الدواوين صاحب صبح الأعشى ، فقد ذكره في مواضع عديدة ، وأخذ عنه كثيراً من مادته ، كما ذكره صاحب إيضاح المكنون. ويعد كتاب قوانين الدواوين أثمن ما وصلنا من آثاره ، فهو ثروة علمية جمع فيه بين التراث التاريخي والجغرافي والزراعي. وقد تعرض الأسعد بن المهذب في سفره النفيس إلى جغرافية مصر في العهد الأيوبي ، وذكر أعمالها ونواحيها وأسماء ضياعها وجزائرها ومناخها. وتصدّى لكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب. كما استعرض وظائف الدولة المهمة ، وأفاض في شؤون مصر الزراعية ، فذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها والأدوات المستخدمة في تقليم الأشجار. والكتاب زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات ، واستطاع أن يجمع فيه إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط في شتى المسائل التي اختصوا بها دون غيرهم من الطوائف المصرية وطبقاتها. ويتألف الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب ، بدأها في فضل الكتابة والكتاب ، وختمها في ذكر السنة الشمسية والقمرية. وجدير بالذكر أن للكتاب عدة طبعات ، وأفضلها ما جاء محققاً بعناية عزيز سوريال عطية. وكتاب قوانين الدواوين هو كتاب علمي صرف يتحدث فيه ابن مماتي عن مصر بصفة عامة ونهر النيل ومساحة الأرض وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها وخلجانها، بالإضافة إلى تناوله الأراضي المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري ، وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها وغير ذلك من الأمور الهامة.[نسيم مجلي. "الأسعد بن مماتي ـ رائد أدب السخرية"]. وكذلك يتصدى الكاتب إلى كثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب. مثال ذلك "الباب الثامن" الذى استعرض فيه المؤلف وظائف الدولة وشرح اختصاص كل منها ، كما أنه أتى في الأجزاء الأخيرة من الكتاب على شذرات كثيرة طريفة عن بعض الدواوين ودور الحكومة وموارد الدولة. ويقول العلامة الكبير الراحل

عزيز سوريال الذى حقق الكتاب إن قيمته ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة في المجتمع المصري ومركزه السامي في حكومة البلاد ، فابن مماتي - كما يظهر من تاريخ حياته فيما بعد - تقلب في كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسئولين. كذلك يخبرنا الدكتور عزيز سوريال أن ابن مماتي اعتذر عن تقديم بعض المعلومات لأنه اعتبرها من أسرار الأمن القومي أو من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها - هذه الشخصية التي تجمع بين الخيال الأدبي الساخر والدقة العلمية المفرطة إلى جانب الحس الوطني اليقظ كيف نراها؟ لقد تساءل المستشرق الفرنسي الكبير كازانوفا ، الذى حقق كتاب "الفاشوش" ، وعلق عليه قائلاً: "كيف نوفق بين صورة هذا المؤلف الذى يخوض في كتابات الفكاهة ويكتب فيها كتاباً بالعامية ، ثم يكتب كتاباً آخر بالفصحى عن الأرض ومساحة المدن ويعزف عن إباحة أسرار الدولة ، فيرتفع إحساسه بالمسئولية إلى هذا الحد المتعقل؟" إن الصورتين تتكاملان لو علمنا أن ابن مماتي كان غاضباً حانقاً بلا شك على القائد قراقوش الذى يقرّبه صلاح الدين إليه. وهو حانق من وجهة نظر مذهبية كما يذهب كازانوفا ، وهو حانق كذلك لأن أمور مصر ساءت على الرغم من الإنجازات التي حققها صلاح الدين في الخارج من صفحات وضاءة في الفتوحات وصد الصليبيين ، ولكن هذه الصفحات كانت مصابة ببقع الحكم الاستبدادي في الداخل وإطلاق الشهوة "القراقوشية". ولعل هذا الوضع يبرر من جانب الحكام عادة باسم المصلحة العامة (باستخدام أسلوب العصر) ولكنه لا يبرر من زاوية المحكومين أبداً. كما أننا نتصور أن حنق هذا الاقتصادي أو هذا المالي ابن مماتي على قراقوش هو حنق له ما يبرره لأن الاقتصادي ينظر للأمور نظرة مخالفة لنظرة القائد العسكري، مما يثير الفرقة في النظر دون شك. وقد علق الدكتور عزيز سوريال على ما جاء في كتب المؤرخين بملاحظات عدة نذكر منها: أن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" لم يكن أول شخص عظم شأنه في دواوين الحكومة من بين أفراد أسرته، إذ نجد أن جده أبا المليح الذى عاش بمصر في العصر الفاطمي عمل في خدمة الوزير بدر الجمالي والخليفة المستنصر بالله حتى بلغ في سلم الترقي إلى وظيفة "مستوفى الديوان" وهى من الوظائف الرئيسية في الدولة الفاطمية ، وبعد موته تولى ابنه واسمه المهذب بن أبى المليح رئاسة "ديوان الجيش" والدولة الفاطمية تحتضر في وزارة أسد الدين شيركوه السنى ، وفى عهده أسلم هو وأولاده لكى يفلت من التضييق الذى وقع على النصارى وقتئذ ، ويحتفظ بمكانته السامية في دواوين الحكومة ، وأما ابنه وهو حفيد أبى المليح واسمه الأسعد فقد قضى الجزء الأول من حياته في عصر الانتقال من الفاطميين للأيوبيين ، وورث في بداية الأمر عن أبيه وجده "ديوان الجيش" الذى احتفظ به في عهد صلاح الدين الأيوبي (564 - 589 هـ / 1169 - 1193 م) وفى سلطنة ابنه العزيز عماد الدين عثمان (589 - 595 هـ / 1193 - 1198 م) ، ويظهر مما ورد في رواية ياقوت الرومي أنه أضيف إليه أيضاً "ديوان المال" الذى يعتبر في كل العصور أهم الدواوين والوزارات ، ويلوح أنه ظل محتفظاً بوزارته ودواوينه أيضاً خلال سلطنة المنصور محمد (595 - 596 هـ/ 1198 - 1199م) وشطر من سلطنة العادل سيف الدين أبى بكر (596 - 615 هـ / 1199 - 1218م) ، ولكن كثرت عليه المؤامرات في عهد هذا الأخير وأودت بمركزه وماله، وأدت إلى هروبه فقيراً ذليلاً إلى ما وراء الحدود المصرية في الشام حيث قضى بقية أيامه بمدينة حلب ومات بها في جمادى الأولى عام

606 هـ (نوفمبر 1209م) وعمره إذ ذاك اثنتان وستون عاماً. ثانياً: يلاحظ أن الوزارة لم تشغل الأسعد عن الأدب والتأليف ، ونظرة واحدة في أسماء الكتب التي صنفها والتي ذكر أكبر عدد منها ياقوت الرومي تكفى لإيضاح هذه الحقيقة ، ولكن الغريب في ذلك هو أنه لم يتحدث عن "كتاب" قوانين الدواوين" من بين قدماء المؤرخين سوى المقريزي هو الوحيد الذى اهتم بمثل ما ورد في ذلك الكتاب من المحتويات ، بينما اقتصر الآخرون على الناحية الأدبية البحتة من تآليفه ، ورواية المقريزي في هذا الصدد عظيمة الشأن ، ويفهم منها أن ابن مماتي ألف الكتاب للملك العزيز ، ثم يزيد على ذلك أن الكتاب المتداول في أيدينا إنما هو نسخة مختصرة من الكتاب الأصلي الذى كان يقع في أربعة مجلدات ضخمة". فإذا صحت نظرية المقريزي ، وضح لنا السبب في الاختلافات الكبيرة بين مجموعة المخطوطات الصغرى التي اعتمد عليها ناشر نسخة مطبعة الوطن والمجموعة الكبرى التي اعتمدنا عليها فيما ننشره اليوم في المجلد الحاضر ، وبالرغم من أن "كتاب قوانين الدواوين" الذى يظهر في هذه الصفحات من أروع الوثائق التاريخية في عصر الدولة الأيوبية ، فإنه لا يسعنا إلا إبداء أسفنا الشديد على ضياع الأصل المطول ذي المجلدات الأربعة والتي لم نعثر عليها في أي مكان توجد فيه مخطوطات عربية في أوربا من لندن وباريس إلى استانبول والقاهرة وغيرها من العواصم. ولابن مماتي أيضاً كتاب: الفاشوش في حكم قراقوش وهو ينتمي إلى أدب الفكاهة والسخرية والهجاء ويمثل بحق أسلوباً فنياً بارعاً في تصوير الغرابة والشذوذ وإحداث المفارقة. وهذا الكتاب الذى أضحك أجيالاً ولازال يضحكنا ، كتبه صاحبه باللغة العامية المصرية ، ووصل به إلى أعرض الجماهير حتى صار قراقوش في المخيلة الجماعية للشعب مثالاً لكل حاكم أخرق ينحرف عن طريق العقل والمنطق في سلوكه وتصرفاته. ولقد تعرض ابن مماتي في هذا الكتاب للأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي وكان نائب السلطان صلاح الدين في مصر وموضع ثقته. فقد ذكر ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» أن في الكتاب أشياء يبعد وقوع مثلها منه ، ويرى أنها موضوعة لأن السلطان صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه. كما ذكر ابن خلكان في وفياته أنه نظم كتاب كليلة ودمنة ، وقال: وله ديوان شعر. ويتأكد التكامل في شخصية المؤلف بصورة أوضح حين نقرأ تقديمه لكتاب الفاشوش في أحكام قراقوش بقوله: «إنني لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش محزمة فاشوش ، قد أتلف الأمة ، والله يكشف عنهم كل غمة ، لا يقتدى بعالم ، ولا يعرف المظلوم من الظالم. الشكية عنده لمن سبق ، ولا يهتدى لمن صدق. ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته ، ويشتط اشتياط الشيطان ، ويحكم حكماً ما أنزل الله به من سلطان ، صنفت هذا الكتاب لصلاح الدين ، عسى أن يريح منه المسلمين.» فغرضه من هذا الكتاب هو تحرير الشعب المصري وتخليصه من تسلط قراقوش وقهره له. لأنه سخر الشعب المصري لبناء أمجاد صلاح الدين وتأكيد سلطانه ، دون مراعاة لحقوق الفقراء ومشاعرهم ، فإذا تفكرنا أيضاً أن كتاب "قوانين الدواوين" قدم لصلاح الدين أو أحد أبنائه من أجل تحرى الواقعية والعدل في تقدير الجزية والضرائب على أفراد الشعب بجميع فئاته. فإننا نكتشف البعد الآخر أو الدافع الرئيسي لابن مماتي ، وهو مصلحة مصر والشعب المصري عموماً. فإذا عرفنا أن صلاح الدين كان كردياً وأن قراقوش قائد جيشه كان صقلبياً من مماليك القوقاز في حين كان ابن مماتي مصرياً أباً عن جد. لمحنا أثر الصراع بين المصريين والحكام الأجانب. ولعل هذا ما جعل كازنزفا يقول: "إن ابن مماتي كان يسعى إلى هز الثقة بقراقوش ، وهو قائد صلاح الدين الأيوبي ومن أقرب

المقربين إليه ، لأنه كان يعهد إليه بأمانة الإشراف على شئون مصر نيابة عنه عندما كان يضطر إلى السفر إلى سوريا للقاء الصليبيين". فصلاح الدين لا ينيب عنه مصرياً مهما كان قدره أبداً ، وقد كان ابن مماتي مثلاً رئيساً لديوان الجيش وديوان المال في ذلك الوقت ، ويذكر الدكتور عبد الطيف حمزة إن قراقوش كان كثير اللجاجة والخصومة ، فلا يقر مبدأ المنافسة في الأمور ، ولا يحتمل الاصغاء الى جدل من كبير أو صغير ، وله رأى في معاملة السوقة والعامة هو أخذهم جميعا بالقهر والقسوة ، وهكذا فعل بالأسرى وبالعامة الذين سخرهم في بناء الأسوار والحصون. وكان هذا سببا في كراهية ابن مماتي وسخريته منه." ولعل أقدم سيرة نعرفها لابن مماتي، كتبها ياقوت الحموي في الفترة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ توفى سنة 1229م أي أنه كان معاصراً لابن مماتي المتوفى سنة 1209م. ويلاحظ الدكتور عزيز سوريال أن ياقوت لم يعتمد فقط على رواية الرواة من أهل العلم وإنما اطلع أيضاً على شيء مما كتبه ابن مماتي بخطه ، ولذلك يجوز لنا أن نعتبرها وبلا تردد وثيقة من أهم الوثائق عن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" ، وهى وإن كانت في ذاتها واضحة لا تحتاج إلى إفاضة أو تفسير ، إلا أنه يدهشنا فيها سقوط الكتاب المذكور من بين محتويات القائمة التي جمع فيها ياقوت عدداً كبيراً من مؤلفات ابن مماتي ، كما يلاحظ أيضاً أن كاتب هذه السيرة اهتم بالناحية الأدبية من حياة ابن مماتي أكثر من بقية النواحي الأخرى التي أجملها إجمالاً. يتلو ذلك في الترتيب الزمنى ما ذكره ابن خلكان المتوفى 1282م في كتابه المشهور "وفيات الأعيان" حيث يقول: "القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا ابن زكريا أبى قدامة بن أبى مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر رأيته بخط ولده ونقلت عنه مقاطع. "وكان الأسعد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفى الدين ابن شكر ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب لائذاً بجناب السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى ، وأقام بها حتى توفى في سلخ جمادى الأولى سنة ست وستمائة يوم الأحد وعمره اثنتان وستون رحمه الله تعالى ، ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ الهروي ، وتوفى أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وخمسمائة. "ومينا بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ، ومماتي بفتح الميمين والثانية منهما مشدَّدة وبعد الألف تاء مثناه من فوقها وهى مكسورة وبعدها ياء مثناه من تحتها ، وهو لقب أبى مليح المذكور وكان نصرانياً ، وإنما قيل له مماتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين فكانوا إذا رأوه نادى كل واحد منهم مماتي فاشتهر به ، هكذا أخبرني الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به. "وأما ابن مماتي فإنه (أسعد) بن مهذب بن زكريا بن (مينا) شرف الدين مماتي أبى المكارم بن سعيد بن أبى مليح الكاتب المصري ، أصله من نصارى أسيوط من صعيد مصر ، واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله ، وكتب ديوان مصر ، وولى استيفاء الديوان ، وكان جواداً ممدوحاً انقطع إليه أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة (مكنسة!) الشاعر. توفى في سنة ست وستمائة (606هـ) ، وعمره اثنتان وستون سنة).هـ. ويطيب لنا بعد هذه المقدمة أن نشيد بابن مماتي ذلك المؤرخ الصعيدي ، ذلك النصراني الذي أسلم وحسن إسلامه. ونكتب عنه لنضيفه إلى قائمة فضلاء

الصعيد وجهابذته وعماليقه وعباقرته الذين لنا شرفُ الانتساب إليهم بحكم كون والدي وأجدادي لوالدي وأعمامي من أهل صعيد مصر. ومن هنا امتدحت تلك الديار المصرية المباركة! حتى أنني أفردتُ ديواناً شعرياً بأكمله عن الصعيد ومناقب الصعيد! واسم الديوان لمن أحب القراءة فيه والوقوف على حقيقة أهل صعيد مصر هو: (الصعايدة وصلوا) ، ويقع في ما يزيد على 300 صفحة من القطع الوسط! وإنما أردت أن أخص ابن مماتي كمؤرخ مسلم من صعيد مصر لأنني كنت قد انتهيت من صف وإخراج ديوان: (الصعايدة وصلوا)! وإن لا يكنْ ذلك كذلك لكانت هذه القصيدة إحدى قصائده!)

كـــم أنبتـــتْ فـــذاً ديـــارُ صـــعيدي! ومراجـــعُ التـــاريخ بعـــضُ شُـــهودي

كـــم قـــدمتْ - للعـــالمين - خيورَهـــا وعطاءهـــا ، ولكـــم أتـــتْ بجديـــد!

فـــي كـــل حقـــل كـــم لهـــم مـــن نخبـــة ظهـــرت بجهـــد طيـــب محمـــود!

وتفـــردتْ فـــي علمهـــا وجُهودهـــا أرأيـــت أفضـــل مـــن علـــوم الصِـــيد؟!

فـــي الطـــب والتطبيـــب أبـــدعَ بعضـــهم فـــاذكرْ لهـــم - فـــي الطـــب - خيـــرَ جُهـــود

والـــبعضُ أبـــدع فـــي البنـــاء ورَصّـــه مـــن كـــل قصـــر - فـــي الـــبلاد - مشـــيد

والـــبعضُ فـــي الصـــحراء أنفـــق عمـــره وأقـــام صـــرح علومـــه فـــي البيـــد

والـــبعضُ فـــي الآداب صـــاغ فنونهـــا مـــن كـــل مشـــكور العطـــا صِـــنديد

ومـــن الصـــعيد أشـــاوسٌ وأماجـــدٌ وكـــأن ذا الأمجـــاد كـــل صـــعيدي

وارجـــعْ إلـــى التـــاريخ واســـبرْ غـــورَه لتـــراهمُ للحـــق خيـــرَ جُنـــود

لتـــراهمُ أهـــلاً لكـــل فضـــيلةٍ ســـادت ، ورأي فـــي الأمـــور ســـديد

لـــم يقبلـــوا ضـــيماً يســـربلُ همّـــة لا يستســـيغ الضـــيمَ غيـــرُ عبيـــد

لـــم يخضـــعوا لمـــن اســـتباح إبـــاءهم وغـــزا الـــديارَ بجحفـــل وقيـــود

لـــم يركنـــوا يومـــاً لمـــن ظلـــم الـــورى مـــن كـــل نـــذل ســـاقطٍ رعديـــد

لـــم يرتضـــوا التغريـــبَ يُخـــربُ دارهـــم وســـواهمُ يهفـــو لـــبعض مزيـــد

ومعـــاجمُ التـــاريخ أصـــدقُ شـــاهدٍ ونصوصُـــها تأتيـــك بالتوكيـــد

(وابـــن الممـــاتي) جهبـــذ ومـــؤرّخ وافـــى بعِلـــم فـــي البيـــان رشـــيد

تبـــع الهُـــدى مـــن بعـــد نصـــرانيةٍ ومضـــى يـــدينُ لربـــه المعبـــود

وأتـــى إلـــى الإســـلام ينهـــلُ راغبـــاً مِـــن علمـــه وجمالـــه المشـــهود

تـــرك الصـــليبَ ومَـــن يـــدينُ بدينـــه وأبـــوه تابعـــه وكـــل وليـــد

وتبختـــرتْ (أســـيوط) فخـــراً بـــالألى قـــد أســـلموا ، فـــاليوم يـــوم العيـــد

(وابـــن المهـــذب) خـــصّ مصـــر بعِلمـــه وبُحوثـــه كالعـــالمين الصِّـــيد

صـــاغ (القـــوانين) التـــي هـــي دُرّة تمحـــو الـــدجى مـــن درب كـــل مُريـــد

ولـــذا كتبـــتُ قصـــيدتي مُتفـــاخراً أهديـــه عـــذب مَفـــاخري وقصـــدي

هـــذا (صـــلاح الـــدين) قلـــده العُـــلا وحَبـــاه كـــل دَعـــائم التأييـــد

ثقـــة بمـــا عنـــد الهمـــام مـــن الوفـــا أعطـــاه كـــل مكاســـب ونقـــود

(ديـــوانُ أمـــوال) يكـــونُ أميـــرَه وعلـــى الأميـــر أتـــتْ جميـــعُ وفـــود

كـــلٌّ لـــه فـــي مـــال (أســـعدَ) حصـــة بـــالحق لا بتفضـــل أو جُـــود

لله درّ (ابـــن الممـــاتي) ، إنـــه وفّـــى بجهـــدٍ - فـــي الحيـــاة - جهيـــد

لـــم يتخـــذ هـــذي الوظيفـــة مَغنمـــاً ليبـــوء منـــه الشـــعب بالتعبيـــد

لـــم ينهـــب الثـــرواتِ تمـــلأ خزنـــة ليبـــوء منـــه الخلـــق بالتشـــريد

لكنـــه أدى الأمانـــة مُنصِـــفاً فـــارحمْ مليـــكَ النـــاس خيـــرَ فقيـــد!

الأميرة زبيدة بنت جعفر (طموح يتحدى الواقع)

(نعم إن رحلة الطموح والأمنيات والآمال في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر - رحمها الله تعالى - لا تكاد تصل إلى نهاية. بل كانت حياتها جهداً متواصلاً والله المستعان على كل حال. الله نسأل أن يرحمها رحمة واسعة ويتقبل عنها صالح عملها ويبارك سعيها ويجعلها من سيدات الآخرة كما كانت من سيدات الدنيا! فلقد كانت ذخراً للإسلام والمسلمين. أنشدتُ هذه القصيدة في وصف رحلة العطاء والطموح في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد – رحمهما الله تعالى – عرفاناً بجميلها واعترافاً بفضلها ، فلقد كانت من ربات الفضل والعطاء والمكرمات. ووجدتِ القصيدة طريقها إلى (ديوان السليمانيات) في مجلده الخامس اعتزازاً بالأميرة العظيمة. ونسجّلها في هذه الديوان عنها لتكون بمثابة التحية لها ، وإن ديوان أي شاعر مسلم ليشرف بأن تكون فيه قصيدة عن زبيدة صاحبة الهمة العالية والمقام الرفيع. جاعلين هذه القصيدة بمقدمتها الطويلة تلك ترجمة لحياتها وعطائها. ولقد تناولنا فيها مسيرة الأميرة زبيدة بنت جعفر ، واقتطفنا بعض الزهور من بستان حياتها اليانع لنحمل الجميع على الاقتداء بها في بذلها للخير وإثرائها للعمل الخيري والتطوعي في الداخل والخارج ، والتأسي بها في رعاية الأيتام وكفالتهم والإحسان إليهم ابتغاء مرضاة الله – عز وجل – وحده. وتناولنا كذلك جانباً كبيراً من فلسفة الأميرة زبيدة بنت جعفر في العطاء ، حيث إنها لا تتعمد إراقة ماء وجه السائل والمسكين وإذلاله قبل أن تعطيه ، بل تبادر إلى العطاء قبل السؤال في أغلب الأحوال كما عرف عنها وأثر من خلال سيرتها في كتب التراجم والتاريخ. ومن هنا كانت أسلوبية العطاء أجمل من العطاء الجزيل ذاته. يقول الفرنسيون في مثلهم: (طريقة العطاء هي أفضل مما نعطي). وصدق الأديب العربي جبران حيث يقول: (جميل منك أن تعطي من يسألك ما هو بحاجة إليه ، ولكن الأجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته). ولجبران أيضاً مقولة ظريفة تبين لنا أن أصحاب العطاء لم يتفضلوا على غيرهم إلا ليترجموا أخلاقهم السامية إلى واقع ، يقول جبران: (ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف ، وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم). وهكذا أصحاب القلوب الرحيمة يعطون ليترجموا رحمة قلوبهم إلى سلوك عملي تطبيقي. وهكذا رأينا الأميرة زبيدة بنت جعفر تجعل عطاءها ترجمة لرقة مشاعرها ورحمة قلبها وشفقها على الأيتام والأرامل والفقراء والمحتاجين والمنكوبين في بلاد الإسلام وخارجها. إن هذه المسيرة مشوار حياة محفوف بالمخاطر عبر المجهودات الشاقة في بلاد الدنيا ومُكلل إن شاء الله تعالى بالأجر الجزيل عند الله تعالى. ما بين العمل المتواصل في الداخل ، في بغداد والعمل في الخارج شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في بلاد الإسلام. ومن هنا كانت القصيدة محطات وقفناها عبر مسيرة الأميرة زبيدة بنت جعفر لنستروح أرجَ العمل الخيري والتطوعي بكل صدق وإخلاص. تقول عنها الكاتبة سارة علام ما نصه: (بين صفحات التاريخ المطوية أكثر من وجه لـ "زبيدة" التي نعرفها ، وجوه نحرص على أن نروي سيرتها ، ونبرز مناقبها ومآثرها التي أضافت إلى هذا الاسم على مر التاريخ بهاءً وجلالاً. ولعل درة تاجهم "زبيدة" بنت جعفر بن المنصور (149هـ - 216هـ) ، زوجة الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (149هـ - 193هـ) رائدة العمل الخيري في التاريخ الإسلامي قبل عصور الروتاري واللايونز. حيث ارتحلت في عام 186هـ لأداء مناسك الحج ، فواجهت الكثير من المشاق رغم موكبها العظيم ، وهودجها الموشى ، وناقتها الوضحاء ، فعزمت لدى

عودتها على إعادة الحياة إلى طريق الحج الوعر الذي يصل بين بغداد ومكة ، الذي سمي منذ حينها "درب زبيدة". أمرت بنت جعفر بتمهيد طريق الحج بطول 870 ميلاً ، وشيدت على جانبيه المرافق والمنافع والآبار التي ظلت تخدم الحجيج لأكثر من 1200 عام ، والتي ما تزال آثارها شاخصة بمنطقة حائل على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية كما لقبت بـ "ساقية الحجيج" حيث هالها ما يكابده زوار بيت الله الحرام من مشقة العطش ، فأطلقت مشروع ري عملاق شمل حفر عدد من القنوات لنقل المياه من منابع سقوط الأمطار إلى مكة بعمق 40 متراً تحت الأرض ، ولمسافة امتدت لنحو 10 أميال ، لتصبح قنوات "عين زبيدة" الخالدة حتى الآن بمعمارها الهندسي الفريد ، ولم تثنها دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع عن تنفيذه ـ بلغت تكلفة المشروع نحو 1.7 مليون دينار ـ بل أصرت وهي تضع حجر الأساس ، على اصدار توجيه واضح لمهندس المشروع: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً).هـ. لقد كانت هذه المناقب وساماً على صدرها يجلي سيرتها لمن لا يعرفها! رحمها الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء! وأسكنها فسيح جناته! وغفر لها ذنوبها وتجاوز عن سيئاتها! وجعلها الله مع النبيين والشهداء والصدّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!)

سُـــر شـــعرى لمّـــا ســـباهُ الصُـــمودِ ... واحتوتـــــه الأفـــــراحُ والتغريـــــدُ

فـــانبرى يُطـــري (الأميـــرة) جـــزلاً! ... صِـــيتها ـ فـــي كـــل الـــورى ـ محمـــود

ناشـــــراً أمـــــداحاً تـــــروحُ وتغـــــدو ... يَجتبيهـــــا ـ للعـــــالمين ـ قصـــــيد

مثـــل هـــذي ـ بـــين النســـاء ـ قليـــل ... تشـــهد الـــدارُ ، والحِمـــى ، والبيـــد

إن (دار الســـــلام) تختـــــالُ فخـــــراً ... ثـــم تمضـــي فـــي زهوهـــا ، لا تعـــود!

والبرايـــــا تقولهـــــا باقتنـــــاع: ... نجمـــة هـــذي يجتبيهـــا الخلـــود

حُـــزتِ حـــب الجميـــع فـــي كـــل وادٍ! ... والـــــدليلُ الإطـــــراء والتمجيـــــد

يـــا (زبيـــدَ) الخيـــر الحقيقـــة بانـــتْ ... واســـــتبانَ المـــــرادُ والمقصـــــود

والطمـــوحُ المغـــوارُ بـــالخير يســـمو ... يتحـــــدّى ، والناصـــــرُ المعبـــــود

والأمـــاني فـــي قلبـــك الغـــضّ تحيـــا ... باشـــتياق مـــا صـــدّها المجهـــود

والعطـــــاءُ كـــــالبحر دون حســـــاب ... هـــل يُضـــيرُ الـــدأماء هـــذا الجـــود؟

مكرمـــــاتٌ فـــــي كـــــل صُـــــقع ودار ... وســـبيلُ الجنـــات تلـــك الجهـــود

والجِمـــالُ تجتـــاز عـــرض الفيـــافي ... فوقهـــا الأكـــل والـــدوا والمزيـــد

كـــم أغثـــتِ المنكـــوبَ ينشـــد مـــأوى! مـــا لـــه بيـــتٌ - فـــي الـــديار - مَشـــيد

كـــم أعنـــتِ المســـكين يرجـــو نـــوالاً! بعـــدما أوهـــى عزمَـــه التنكيـــد

كـــم قطعـــتِ الأســـفارَ سِـــراً وجهـــرا! لـــم يعقـــكِ جُهـــدٌ ولا تنهيـــد

كـــم طرقـــتِ الأبـــوابَ بعـــد التحـــرّى عـــن ثكـــالى مـــا عنـــدهن رصـــيد!

كـــم مســـحت بـــالكف رأس يتـــيم! والعطـــاءُ - مـــن بعـــدها - مشـــهود

كـــم بـــذلتِ المعـــروف تـــرجين أجـــراً! والمليـــكُ - علـــى العطايـــا - شـــهيد

كـــم تفضـــلتِ دون مـــنٍّ مـــراراً! فاكتفـــت أمّ عفـــة والوليـــد

كـــم نصـــحتِ مَـــن تطلـــب الـــرأي حقـــاً! عنـــدكِ الـــرأيُ العبقـــريُ الســـديد

كـــم دحضـــتِ الجـــوعَ الـــذي هـــدّ قومـــاً! حيـــث إنّ إنفـــاقهم مَحـــدود

كـــم طعنـــتِ الإمـــلاقَ أردى نفوســـاً! خـــابَ والله الفقـــرُ والتعبيـــد!

كـــم طرحـــت التجهيـــل والجهـــل أرضـــاً! فارتأينـــا التعلـــيم بعـــدُ يســـود

كـــم درجـــتِ فـــي سُـــلم المجـــد طوعـــاً والمســـاعى يحـــدو مَـــداها الخلـــود!

كـــم جـــراح آسَـــيتِها بالعطايـــا حِســـبة إذ تـــأخرَ التضـــميد!

يـــا زبَيـــدُ أفلحـــتِ دينـــاً ودنيـــا إذ أتيـــتِ مـــا عنـــه يعيـــا الصِـــيد

وعلـــى المـــولى لا أزكيـــكِ قطعـــاً إنمـــا رأيٌ ســـما بـــه التقصـــيد

أحسِـــب الفضـــلى هكـــذا ، لـــم أبـــالغ مثلمـــا يُطـــري شـــاعرٌ رِعديـــد

يـــا زبيـــدُ جُوزيـــتِ خيـــراً عَميمـــاً فـــي جنـــان مـــا طاولتهـــا حـــدود!

الشعر يحيي الأميرة زبيدة بنت جعفر

(أما الشعر يحيي الأميرة أمة العزيز زبيدة بنت جعفر فتستحق الكثير على جهودها المشكورة المباركة التي بذلتها في مصلحة الإسلام وأهله والإنسانية بأسرها على الصعيد الإقليمي والدولي. ولها المنزلة والمكانة العالية في قلوب الناس ومنهم الشعراء. وعندما اطلعتُ على سجل حياتها ووقفت على طريف أخبارها وعظيم مواقفها كتبتُ هذه القصيدة التي أوردتها في المجلد الخامس من ديوان (السليمانيات). وإن القصيدة لأقل ما يُهدى إلى الأميرة زبيدة بنت جعفر ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني. ولم أكن يوماً ولن أكون أبداً إن شاء الله من الشعراء المرتزقة الذين يُتاجرون بما ينشدون من الشعر. وإنما أتى إنشادي بشأن الأميرة زبيدة بنت جعفر ترجمة عملية إيحائية لكثرة ما عرفت عنها من الخير والمعروف والإحسان والبذل والجود والعطاء. الأمر الذي تعجز عن تصويره فضلاً عن إدراكه الكلمات مهما بلغ أصحابها من البراعة والإجادة. والعُهدة هنا على رُواة الأخبار عنها. وكنتُ قد درّست اللغة الإنجليزية في مدرسة (أم القرى الخاصة) في أم القيوين لمدة تجاوزت السنوات العشر! وطلبت من طلابي أن يعدوا عنها البحوث باللغة الإنجليزية. مما جعلهم يدركون معي حجم الافتراء الذي افتراه عليها ظلماً الروافض الخبثاء والعلمانيون الحقراء وبعض كتاب التاريخ الجهلاء! وأدركت الكثير عن سيرتها العطرة وقدرتها على الريادة والقيادة. وكنا نرى بكل صدق بأن زمان (أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها -) قد انتهى ، وأن الزمان لا يجود بمثلها في حزمها وحكمتها وجودها وكرمها وإحسانها إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين. حتى أطلت علينا الأميرة زبيدة بنت جعفر فأعادت لنا الثقة بأن الزمان يمكن أن يجود بامرأة تجود ببعض ما جادت به أم المؤمنين خديجة. وإذن فهي سيرة تستحق الذكر والتدوين والمساجلة. وأعتقد أن محاولتي هذي ستكون الأولى عن الأميرة زبيدة بنت جعفر ريثما يأتي كُتاب آخرون مُجيدون يُكملون المشوار ويكتبون عنها الكثير ، وينصفونها من كل من نال منها بغير الحق. رحمها الله رحمة واسعة ، وتقبل عنها صالح أعمالها. وإن كنت أنسى فلا أنسى آراء الأميرة زبيدة بنت جعفر الفلسفية العميقة المستوحاة من كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وما وافقهما من أعراف وتقاليد العرب الأصيلة وسلوم القبائل العربية والبداوة ، تلك التي تعبر كذلك عن القيم الأصيلة التي نهلتها الأميرة أمة العزيز زبيدة بنت جعفر ، وهي طفلة إذ نشأت وترعرعت في البادية المتحضرة فاستقت تلك القيم العربية الأصيلة. فلم يكن في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر ما يُكَدّرها من لهيب الجاهلية اللافح على حدّ علمنا. جاء في الويكيبيديا في ترجمتها ما نصه: (كانت زبيدة بنت جعفر ذات طبيعة صافية ، تغلب عليها النزعة العاطفية. وكان مما يعزز ظنونهم أنها بنت بعد وفاة زوجها قصراً أحاطته بحدائق واسعة ، واستخدمت مئات الكتبة والمساعدين الذين كانت حرَكتهم لا تنقطع وهم ينقلون الرسائل منها وإليها. قال ابن بردي في وصفها: "أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً. لقد كانت زبيدة سيدة جليلة سخية لها فضل في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء والأطباء والشعراء". وقد كان لها الدور الكبير في تطور الأزياء النسائية في العصر العباسي. فقد كانت النساء من مختلف الطبقات ينتظرن ظهورها على أحرّ من الجمر ويسعين إلى تقليدها في ما ترتديه من ثياب. وقد عُرف عنها أنها استوردت من الهند والصين أفخر أنواع الحرير الطبيعي المُوَشّى بالذهب والفضة والحجارة الكريمة. وكانت كثيراً ما تختار ألواناً باهرة لم يسبق لأحد

من النساء أن ارتدتها من قبل. وكانت زبيدة أول من اتخذ أدوات القصر من الذهب والفضة المكللة بالجوهر. وكان الخدم والجواري يملأون قصرها ويذهبون برسائلها وكتبها. وهي أيضاً أول من اتخذ القِباب من الفضة والآبنوس والصندل والكلاليب من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور وأنواع الحرير الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق. جسّدت زبيدة المثال الأكبر في مكانة المرأة الزوجة والقائدة ، وقد كانت حياة الرشيد الحافلة بالعمل والعبادة والفكر نموذجاً آخر لنجاحها ، فقد عُرف عن الرشيد التفقه ومحبة العلماء ومزاولة الرياضات البدنية والذهنية ، حتى أنه مارس الشطرنج بشغف واستمرارية ، ليتعلم ترويض الذهن والصبر وطول البال ، وكان بالإضافة إلى كل ذلك يجد متسعاً من الوقت للعبادة وأداء الفرائض والسنن ، وكانت تنتابه حالات من التوجُّد الروحي حتى وصفه البعض بأنه كان من البكّائين المتأثرين بالنصوص القرآنية وسير الصالحين. عاشت السيدة زبيدة 32 عاماً بعد وفاة هارون الرشيد ، وتُوفيت في بغداد سنة 216هـ الموافق 831م بعد أن عاشت في ظل عبد الله المأمون معزّزة مكرّمة كما كانت في عهد أبيه. وكان المأمون يعاملها معاملة الأم ، وكثيراً ما كان يلجأ إلى مشورتها في أمور الدولة ، ويقبل برأيها ، حتى لو كان مخالفاً لما يراه هو شخصياً. وقد رثاها مسلم بن عمرو الخاسر الشاعر البصري ، بعد رحيلها ظلت باقية حية في أذهان بني العباس ، يتذكرون أخبارها وأخلاقها وثقافتها المميزة ، وظلوا يتناقلون أفعالها في أرجاء الجزيرة العربية).هـ. والله حسيبها ووكيلها. ولا نزكي على الله ربنا أحداً ، ونحسبها هكذا. وأجعل هذه القصيدة من قبيل التعريف بها ، وإن هذا لشرف لي عند الناس وعند الله تعالى!)

(زبيدُ) حُزتِ الذرى في الأصل والنسبِ ... يا دُرة سطعت في أمة العرَبِ

ولا أزكّي على الرحمن دُرّتنا ... بل أكْبِر الدرة العصماء عن رغب

حسيبُها الله من مدح يُجَملها ... فتلك أسمى من الأمداح والخطب

والشعرُ يفخرُ إذ يُطري مُوَفقة ... لله يمدحُ ، لا للمال والقرَب

وللقوافي صدىً في ذِكر سِيرتها ... لأنها جمّة الأخلاق والأدب

والوزنُ يَطربُ إنْ عُدّتْ مناقبُها ... حتى يَبيتنّ رهنَ اللحن والطرب

وكم قصائدَ - في الملوك - قد نظمَتْ ... وسُطرَتْ حسَبَ الأهواء والطلب!

تحكي النشاذ يُغنيه الألى كتبوا ... شتان شتان بين الصدق والكذب!

(زبيدُ) شِعري بصدق القول أنسجُه ... يُعطر النصّ في الأسفار والكتب

أجـــلّ قـــدرَك بالأخبـــار أسْـــطرها ... وأســـتعينُ بمـــن يُطريـــك عـــن كَثـــب

يـــا شـــعرُ حَـــيّ (زبيـــدَ الخيـــر مـــا ســـطعتْ) ... شـــمسٌ ، وجـــادت ببـــذل النـــور واللهـــب

وجُـــد بمـــا حُـــزت مـــن سَـــجْع ومـــن صـــور ... أغلـــى مـــن المـــاس والياقوت والـــذهب

(زبيـــدُ) أهـــلٌ لمَـــا دوّنـــتُ مـــن كَلـــمٍ! ... كريمـــة الـــذات فـــي إســـم ، وفـــي لقـــب

وفـــــذة حُـــــرّة أخلاقهـــــا طهـــــرتْ ... وذاتُ أصـــل جليـــل الجـــاه والحَســـب

عِـــز العروبـــة والأعـــراب فـــي دمهـــا ... فمَـــن يضـــارعُها فـــي مَحتـــدٍ وأب؟

هـــي الحَصـــانُ الـــرزانُ ، الكـــلّ يعرفهـــا ... ولـــــيس يقـــــدُرُها إلا ذوو اللبـــــب

(وجعفـــــرٌ) والـــــدٌ أرســـــى مبادئهـــــا ... فـــي القلـــب والـــروح والإحســـاس والعصـــب

(بيـــــتُ الخلافـــــة) مأواهـــــا ومنبتهـــــا ... هـــو العلـــو رفيـــع الجـــاه والرُتـــب

والأم (سلســـلُ) فـــي الجـــوزاء مَســـكنها ... واســـأل مَراجعنـــا عـــن قومهـــا النجُـــب

وأهلهـــا الشـــمّ مَـــن فـــي الفضـــل يســـبقهم؟ ... ومـــن يُســـابقهم فـــي البـــأس والغلـــب؟

(زبيـــــدُ) نلـــــتِ مِـــــن الإبـــــاء ذِروتـــــه ... يـــا ربّـــة العطـــفِ والإكـــرام والحَـــدَب

أنـــتِ التواضـــعُ فـــي أســـمى مَدارجـــه! ... تواضـــعٌ قـــد نـــأى عـــن حالـــكِ الرّيَـــب

رحِمـــــتِ أهـــــل ذوي الحاجـــــات قاطبـــــة ... فـــزايلتْهم حُـــزونُ الضـــنكِ والـــوَدَب

ولليتـــــــــامى إذا رأوك دندنـــــــــة ... لأن بَـــــذلكِ أنجـــــاهم مِـــــن الكُـــــرَب

وللأرامـــــــل إمّـــــا زرتِ مَكرُمـــــة ... لكـــــي تـــــزول بهـــــا غوائـــــلُ الحَـــــزب

تحـــــاربين لهيـــــبَ الجـــــوع واثقـــــة! ... وتدحضـــــين عـــــذاب الفقـــــر فـــــي دأب

وتنشُـــرين الهُـــدى ، يـــا ســـعدَ مُحســـنةٍ تســـعى لنشـــر التقـــى والخيـــر والأرب!

يـــا نبتـــة ـ فـــي ســـماء المَكرُمـــات ـ نمـــتْ ومَـــن تأملهـــا أفضـــى إلـــى العَجَـــب

لـــيس النبـــات الـــذي تعطيـــه تربتـــهُ مثـــلَ النبـــات نشـــا فـــي القحـــط والجـــدب!

هـــو المليـــكُ لـــه ـ فـــي الخلـــق ـ سُـــنته شـــتان شـــتان بـــين الشـــيح والعنـــب!

جوزيت خيراً يا ابنَ منصور

(إنه الأستاذ المهندس / عاطف أحمد منصور. مؤلف سلسلة (مكتبة الأسرة) فى الرياضيات وهي 3 أجزاء ، وفى الكيمياء ، وفى الفيزياء 3 أجزاء ، وكتاب آخر هو (الرياضيات المسلية: متعة وفن وذكاء). والهدف من هذه السلسلة هو تنمية المهارات الأساسية في هذه العلوم للناشئين! بأسلوب سهل ممتنع ومبسّط لأبعد حد ، ليساعد فيه الوالدان الأبناءَ على التعلم بدون تكاليفٍ ولا دروس خصوصية عند المرتزقة الذين لا يرحمون. وإنما جعلوا من وظيفة التعليم والتدريس والتربية وسيلة للابتزاز والارتزاق الرخيص لا تزيد. وتفضلتْ مكتبة (ابن سينا) بالقاهرة بطباعة السلسلة العلمية تلك لتقطع الطريق على المعلمين المرتزقة سالفي الذكر. وأشكر معلمة العلوم (الأستاذة / زينب الهوّال) التي درسّتني العلوم في المرحلة الابتدائية ، وكذلك أشكر (الأستاذ / محمد الصحفي) الذي درسني الرياضيات في ذات المرحلة. ثم درسني بعدهما هاتين المادتين قومٌ مرتزقة لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة حتى كرهتهما معا (المادة ومن يدرّسها). يقول الأستاذ الكاتب أسامة طبش عن المعلم الناجح ما نصه: (المعلم الناجح يحبُّ عمله حبًّا جمًّا ، فكلُّ صباح يستيقظ باكراً ليحضر محفظته ويضع فيها كلَّ ما يلزمه ؛ إذ هو السلاح الذي سيستعمله في تقديم درسه ، والوجبة الطازجة التي ستُقدَّم لتلاميذه ، والماء الزلال الرقراق الذي سيروي ظمأهم وعطشَهم. يقضي ليله إلى ساعة متأخِّرة في التحضير ؛ فالأوراق كثيرةٌ ، والمراجع متعدِّدة والفكر متوقِّد ، يبحث عن أفضل السُّبل لرسم درسه الذي سيعرضه ، يضع خطَّةً محكمةً خاليةً من الثغرات ؛ حتى تسير الحصَّة بسلاسةٍ ، ولا يُحس تلاميذُه بالملل ، يجعل كلَّ دقيقةٍ خاصَّة بالدرس ، فيخرُجون وقد امتلأت عقولُهم بالمعلومات ، ويحس هو بالنشوة ولذَّة الانتصار. يَلقَى الاحترام مِن كلِّ مَن هو بالمؤسَّسة ؛ لأنَّه مِن السبَّاقين إلى أَخْذ تلاميذه إلى قسمهم ؛ فهو متشوِّق إلى التدريس ، وإفادتهم بما لديه من معلومات ، أمَّا تلاميذه فيُلقُّون عليه التحيَّة باحترام ؛ لأنَّهم يقدِّرون المجهود الذي يبذله لأجلهم ، ويعلمون أنَّ التحسُّن الذي يعتريهم سيكون بانتباههم وتطبيق ما يطلبه منهم ، فيُحصِّلون العلاماتِ الجيدة ، وتتحقَّق لهم الفائدة المرجوَّة. ينصحهم خلال الدَّرس ، ويحثُّهم على الاجتهاد والعمل واعتبار العلم مرتقًى يرتقون به إلى المراتب العُليا ، فتعجبهم كلماتُه ، فما يقوم به لم يذهب هباءً منثوراً ؛ بل هو صائبٌ وفي الصميم ، وكم هي رائعة العلاقة التي تجمعه بهم ، ودٌّ وتقدير ومهابة ، لا يجرؤ أحدهم على تجاوز حدوده معه ؛ لأنَّه أستاذهم ومعلِّمهم ومربِّيهم ، هو القدوة التي يقتفون أَثَرَها ، ويذكِّر نفسَه بالمسؤولية الثقيلة ، وأنَّ عليه أن لا يدَّخر جهدًا لأجلِهم).هـ. وجاء شكري وخالص تقديري واحترامي للأستاذ / عاطف أحمد منصور ترجمة لهذا الشعور القديم الجديد. ألا إن الطلاب أمانة عند المعلمين. ولسوف يسألهم الله عز وجل عن هذه الأمانة يوم القيامة. وأظن أنه قد آن الأوان جداً لمنطق الرتبة والراتب أن يرتفع من قاموس المعلم القدوة. ذلك أننا نرى الأمم تُقيم كل نهضتها على العلم المادي البحت. ونحن كان ينبغي أن نكون إلى الأفضل ، لأن العلم عندنا مرتبط كل الارتباط بالشرع والدين. فنحن نتعلم من أجل الدنيا والآخرة. لأن حضارتنا حضارة روحية تجمع بين الجسد والروح وبين الآخرة والدنيا!)

مِــن بحــر عِلمــكَ دعنــا اليــومَ نغتــرفُ ومِــن عطائــك دعنــا اليــومَ نرتشــفُ

واغمــر قرائحنــا نــوراً وتجربــة إنــا - بفضــلك يــا مغــوارُ - نعتــرف

والعِلــمُ أفضــلُ مــا يرجــوه ذو نظــر ... إذ إنـــه العـــز والأمجـــادُ والشـــرف

والعِلــم خيــرٌ مـــن الأمـــوال نجمعُهـــا ... ويســـتفيد مـــن (المبـــالغ) الخلـــفُ

والعِلــمُ خيــرٌ مــن القصــور قــد بُنيــتْ ... لا يســتوي القصــرُ فــي الميــزان والثقــف!

والعِلــمُ يرفــعُ قــدْر المــرء فــي مــلأ ... لهــم بنشــر الهُــدى - بــين الــورى - شــغف

مهمـــا تنكّـــرَ للتعلـــيم مَـــن جهلـــوا ... فشمسُــه - فــي البرايــا - لــيس تنكســف

يحيـــا الجهـــولُ بـــلا أسّ ولا هـــدفٍ ... ونُصـــبَ عينـــيْ ذوي البصـــائر الهـــدف

إن (ابـــن منصـــورٍ) العلـــومُ دُربتـــه ... وبالحســـاب وبالكيميـــا بـــه كلـــف

أعطـــى وألـــفَ ، لـــم يبخـــلْ بعارفـــةٍ ... لأن صـــاحبنا - بـــالجود - متصـــف

نمَّـــى المهـــاراتِ بالأفكـــار أوردَهـــا ... وبالرســـومات ، فالأســـتاذ مُحتـــرف

ودل شــرحُ الفتــى عــن عمــق خبرتــه ... وخبــرة المــرء لا تــأتي بهــا الوُظــف

وبـــاع بـــالرمز مـــا قـــد دونـــتْ يـــدُه ... إذ لـــيس يصـــرفه - عـــن هديـــه - تـــرف

ولـــيس مرتزقـــاً شـــأنَ الـــذين عمُـــوا ... بـــل إنـــه - عـــن جميـــع العِيـــر - يختلـــف

كـــم خـــط يرجـــو رضـــا الـــرحمن مُحتســـباً ... ولـــم يُهـــدّدْه إمـــلاقٌ ولا شـــظف

لأنـــه (عـــاطفٌ) ، والعطـــفُ ديدنُـــه ... وقلبُـــه - بســـنا العلـــوم - مؤتلـــف

ليقـــرأ النـــاس مـــا ألفـــت مِـــن كتـــب ... ولا ينـــلْ منـــك - إمـــا طـــالعوا - الأســـف

فـــالأجرُ - عنـــد مليـــك النـــاس - مُـــدخرٌ ... فـــيم التضـــجّر - يـــا أســـتاذ - والأفـــف؟

مَـــن شـــاء جاهـــد ، والـــرحمنُ يـــأجرهُ ... والعـــالِمون - ببـــذل العلـــم - قـــد عُرفـــوا

الأمير الطيان

(جاءت امرأة إلى الشام وسألت عن قصر الخليفة عمر بن عبد العزيز. فدلوها على داره ، فلما بلغتها وجدت امرأة بثياب بسيطة تجلس على بساط عتيق ، ورجلا يداه في الطين يصلح جداراً في الدار. فدهشت المرأة عندما علمت أن هذه الجالسة على البساط هي فاطمة بنت عبد الملك زوج الخليفة. فقالت لها: ألا تتسترين من الرجل الطيان؟ فابتسمت ثم قالت: هذا الطيان هو أمير المؤمنين زوجي! إن الإمارة والملك عند الأتقياء تكليف وليس تشريفاً! ذلك الأمر الذي جعل الصديق أبا بكر يقول يوماً: (ليتني كنت جزوراً فأذبح!) وجعل عمر لا يقبل بترشيح ولده للخلافة من بعده! إن أمير القوم مسؤول بين يدي الله عن رعيته: عن طعام القوم وشرابهم ومسكنهم وملبسهم ودينهم وعقيدتهم وتوحيدهم! ذلك أن عليه أن يذلل العقبات ليعيش الناس في أمن وإيمان وسلامة وإسلام! ويبذل قصارى جهده ليتفيأ الناس ظلال الإسلام الوارفة! ومن هنا رحتُ أحيي سيدي الأمير الطيان عمر بن عبد العزيز! وكما قلتُ وأكرر: إن تحية الشعراء تكون بالشعر!)

بـــذكر الصِـــيد تســـتهدي القلـــوبُ ... وترتحـــــلُ الـــــدغاولُ والكُـــــروبُ

وتـــــذكر شـــــأنها نفـــسٌ تعـــاني ... ويحمـــل زهـــرَه الغصـــنُ الرطيـــب

وتنبعـــــث العـــــزائمُ والأمـــــاني ... ويُرســـل نـــورَه الأمـــل الخصـــيب

ألا يـــا قـــدوة يخطـــو خطاهـــا ... مِـــن الأخيـــار شـــبانٌ وشـــيب

نشـــرتَ العـــدل خفـــاقَ المُحيّـــا ... فأيـــدَتِ القبائـــلُ والشـــعوب

وعـــادت صـــولة للحـــق غابـــتْ ... فرفـــرفَ خلفهـــا البـــأسُ الســـليب

وأنـــتَ بمـــا جنـــى الضُـــلال أدرى! ... بصـــيرٌ أنـــت بـــالتقوى لبيـــب

وطـــينُ الأرض فـــي يـــدك الثريـــا ... يُـــزال بـــه التصـــدعُ والنـــدوب

مَناقـــبُ فـــي العُـــلا بلغـــتْ مَـــداها ... وشـــمسٌ مـــا لهـــا أبـــداً غـــروب

ومَعدلـــــة يُوَازرُهـــــا شـــــموخ ... ويحمـــي بأســـها الســـيف الخشـــيب

وروحُ تواضـــــع ليســـــت تُبـــــارى ... وخـــوفٌ مِـــن لظـــى المـــوت رهيـــب

وزوجٌ طلقـــــتْ دنيـــــا البرايـــــا ... ونصـــــحٌ مِـــــن رعيتـــــه أريـــــب

أميـــرٌ عـــز دنيـــا بعـــد دِيـــن ... وســـعيٌ بالحنيفـــة لا يخيـــب

لا فض فوك يا دكتور بدر!

(الدكتور بدر بن علي بن طامي العتيبي – حفظه الله – علم من أعلام الدعوة في عصرنا الحديث ، ورائد من رواد الذود عن سُنة النبي – صلى الله عليه وسلم - ، ومكافح مناضل في وجوه من يتطاولون على علمائنا الأجلاء! ولئن كان صبيان الطائف بإيعاز من أهاليهم قد رَمَوْا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحجارة حتى دميت قدماه ، فإن صبياً من صبيان الطائف يدرس ويواصل مسيرة دراسته حتى يصبح دكتوراً ، ويجند قلمه وشعره ولسانه ووقته وجهده وماله وما يملك للذود عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتضميد جراح قدميه الشريفتين وغسلهما مما علق بهما من الدماء الطاهرة الذكية! يا دكتور بدر لقد أقامك الله في أهل الطائف اليوم لتغسل عار هؤلاء الصبية بالأمس! فلله درّك! ويا لها من مَكرمة! وهذا من فضل الله عليك نغبطك عليه ونرجو لك المزيد منه! وكان من الممكن أن تكمل مسيرة صبية الطائف اليوم وتنال من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن سنته ومن علماء السنة الكرام أحياءً وميتيين! ولكن لفرط فضل الله عليك جعلك على النقيض وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً! ومن قلبي أقولها لك: واصل مسيرتك في الذود عن كتاب الله وسنة رسوله وعلماء السنة أسلافنا الكرام ، وأفحم الخصوم بالحق والدليل ، حتى يقال لهذه الفتنة القائمة اليوم: ابلعي سعيرك اللافح ، ويا أيها الناحلون المفرطون المتطاولون كفوا عن هذا الهراء ، استمر يا دكتور بدر حتى تستقر سفينة الحق والذود عن الإسلام وعلمائه على جُوديّ النصر! وساعتئذٍ يفتح الله بينك وبين هؤلاء الخصوم المغرضين ويُقال: بُعداً للقوم الظالمين! ما يكون لك أن تتقاعس أو تنكص عن الدفاع عن بيضة التوحيد وحياض العقيدة وعلماء الحق الأبرياء الأجلاء! ويحسن بنا أن نقدم الدكتور بدر لقرائنا الأعزاء. جاء في موقع مداد هذه الأخبار الدقيقة عنه ، نورد منها بتصريف وتعليق: (هو العلامة المحدِّث أَبُوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدْرُ بْنُ عَلَي بنِ طَامِي بن الحُمَيْدِي بن حُمُود المُقَاطِيُّ العُتيبي نسباً ، الطائفي مولداً ومسكَناً ، الحنبلي الأثري اعتقاداً وتفقهاً. وُلِدَ في مدينة الطائف في منتصف شهر جمادى الآخرة عام 1392هـ. ونشأ في حِجْرِ والدِيه ، وكان لوالده - أجزل الله له الثواب - العناية الكبيرة به بحثِّهِ إلى أبْوَابِ الخير ، والمواظبة على أداء الصلوات مع المسلمينَ ، وتَحْذِيرِهِ مِنْ سُبُل الشَرِّ من رُفَقَاءِ السُّوءِ ، ومساوئ الأخلاق التي زلّ فيها كثيرٌ من الناشئة. التحق بالدراسة النظامية في "مدرسة الفيصلية الابتدائية بالحوية" ثم "المتوسطة" ثم "الثانوية" ، وتجاوزها بدون إعادة لمرحلة من المراحل الدراسية. وبدأ اهْتِمَامِه بطلب العلم وعمره 16سنة ، وكان أول كتابٍ يمتلكه "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" عام 1408هـ ، وهو في الصف الأول الثانوي. وشرع في حفظ "القرآن الكريم" عند كلٍّ من الشيخين عبد السَّميع الأفغاني وصلاح المصري ، ولم يتيسر له إتمامه بعدما جاوز نصفه لعارض بعض الظروف. ومن محفوظاته "ثلاثة الأصول" و"كتاب التوحيد" و"القواعد الأربع" و"البيقونية" و"النخبة" و"الأربعون النووية" و"نظم الورقات" و"الدرة البهية نظم الآجرومية" و"ملحة الإعراب" ، وغيرها. نشأ متجهاً إلى رياض العلم ، معرضاً عن الانشغال بغيره ، معافىً من الانضمام إلى الأحزاب البدعية ، موفقاً إلى علماء السنة. وزاد حظُّه سِعَةً وبسْطَةً لما حضر عند الشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز رحمه الله صيف عام 1410هـ. وبسبب ذلك عزم على أن تكون دراسته الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من عام 1411هـ طلباً في ملازمة الشيخ ابن باز والتعلّم والتأدب على يده.

فالتحق بكلية الشريعة ، ومن حينها واظب على حضور دروسه في "جامع الأمير تركي" و"جامع الأميرة سارة" و دروسه اليومية بمسجده المجاور لبيته ، ومجالسه بعد المغرب حتى رسخت علاقته بالشيخ ، وتواصل مع الشيخ من ذلك الحين حتى وفاته. وتزداد ملازمته للشيخ ابن باز خلال الفترة الصيفية ، وقد اتفق لشيخنا بذلك صحبة شيخه أيام الدراسة في الرياض ، وصحبته أيام الإجازة الصيفية في الطائف. ومن الكتب التي قرأها على الشيخ ابن باز أكثر "صحيح البخاري" وأكثر "صحيح مسلم" وأطرافاً من "مسند الإمام أحمد" و"السنن الأربعة" وغيرها. وقرأ عليه بنفسه "ثلاثة الأصول" و"كشف الشبهات" و"فضل الإسلام" وطرفاً من "كتاب التوحيد" وأتمّه بالسماع بقراءة غيره عليه. كما قرأ عليه الربع الأول من "السنة لابن أبي عاصم" ومثله من "الشريعة للآجري" ، وأول "روضة الناظر" في أصول الفقه ، ومواطن عدة من "تقريب التهذيب" و"خلاصة تذهيب التهذيب" و "تعجيل المنفعة" حيث كان الشيخ يطلب أحوال الرجال خلال دروسه فيقرأها عليه إذّ ذاك ، كما قرأ عليه أكثر المنظومة "الرحبية" في الفرائض أكثر من مرة. وسَمِعَ بقراءة غيره كامل "الورقات" و"نزهة النظر" و"العقيدة الواسطية" ثلاث مرات ، و"أصول الإيمان" للإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأكثر "عمدة الأحكام" و"بلوغ المرام" و"منتقى الأخبار" و"شرح العقيدة الطحاوية" و"رياض الصالحين" و"الجواب الكافي" و"فتح المجيد" و"الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام" وأول "نونية ابن القيم" و"الاعتصام للشاطبي " و"المجلدين 21 وَ 22" من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيرها العديد من الكتب. وقيَّدَ عن الشيخ ابن باز رحمه الله أكثر من ألف مسألة أكثرها من سؤالاته المباشرة له ، وقد نَسَخْتُ أكثرَهَا من أصلِهِ الخَطِّي ، وفيها فوائد جمّة ، وهو ينتظر الفرجة في وقته ليعتني بها إعداداً لطباعتها ونشرها ، أعانه الله على ذلك ويسر له. وكانت لشيخنا منزلة خاصة عند الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ، فقد كان يهتم كثيراً بالشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في الطائف ، وقال عن نفسه يصف خدمته لشيخه: فقد سعدت بخدمته طيلة أيام دروسه في مدينة الطائف ، بل كنت لصيق كرسيّه ، أخدمه ، وأحضر له ما يطلب من ماء ونحوه ، وأحمل عصاه ، وأعتني بترتيب ثوبه وشماغه إذا قام ، وأهذب لحيته إن أصابها شيءٌ ، وأضع له عند جلوسه كرسيَّ القدمين ، حتى كنت منه بمكان الابن من أبيه والخادم من سيده ، عرفت من خلالها ما يحب الشيخ وما يكره ، وسجلت عنه خلال صحبتي له العديد من الفوائد والدرر والمسائل ، حتى شغفت بحبه وصحبته ، وأصبحت أعرف مزاجه من حيث الراحة والتعب ، والسرور والحزن ، والصحة والمرض ، وكان إذا قدم بعض الزوار إلى الشيخ ممن لا يعرف خاصته يظن أنني أحد أبنائه ، انتهى. وقال في موطن آخر: وقد لازمته عشر سنين من عمري كنَّ قاصرات الطَّرْفِ عَنْ غَيْرِه! فرأيتُ فيه من العلم والحكمة والأدب ، والتزام السنة ، واستقرار القول ، والثبات على الحق ، والزهد والخشية ، والتواضع واللين ، ما جعلني أتعلَّم من سكوتِهِ أكثر مما أتعلم من كلامه ، وأتلقى بعيني أكثر مما أتلقى بسمعي ، انتهى. وفي عام 1418هـ حضر الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - مأدبة في بيت شيخنا بدر بالحوية ، أعدها ضيافة لشيخه ، وكانت ليلة مشهودة ، حضرها جمعٌ من العلماء وطلاب العلم. وقد شهد - بشدة ملازمته للشيخ ابن باز وصحبته له ومحبة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى له - جماعة من أهل الشيخ وخاصته في بيته ومكتبه. وامتدت ملازمة شيخنا بدر لشيخه الإمام ابن باز رحمه الله تعالى حتى آخر لحظات حياته ، وشهِدَ شيخه الشيخ ابن باز قبل وفاته بثمان ساعات ، فظلّت لحظات

لقائه الأخير به راسخة في ذهنه ، ويتأثر جداً عند ذكرها! وله مقال منشور في شبكة الإنترنت عنوانه "ماذا صنعت بي يا قناة المجد" وصف فيها اللحظات الأخيرة من حياة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله تعالى فليراجع. وأنشد في رثاء شيخه ابن باز العديد من القصائد ، وقد نُشر بعضها في عددٍ من الصحف. أما دراسته على يد شيخه العلامة محمد بن صالح بن عثيمين: فكان خلال إقامته في الرياض يتردد على القصيم ، وحضر بعنيزة مجالسه رحمه الله تعالى ، يعرض عليه بعد الدرس خلال رجوع الشيخ إلى بيته العديد من الأسئلة العلمية التي يحتاج إليها. كما حَضرَ دروسه السنوية المقامة في مدينة الطائف وقرأ عليه كتابيّ النكاح والطلاق من "زاد المستقنع. وحَضرَ جملةً طيبةً من دروسه الصباحية والمسائية المقامة في المسجد الحرام خلال العشر الأواخر من عام 1410هـ ، إلى عام 1414هـ. وأما فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان: فقد أكرمه الله في الرياض والطائف بقراءة "كتاب التوحيد" و "العقيدة الواسطية" و "مناظرتها" و "رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب" المختصرة في التوحيد ، والربع الأول من "بلوغ المرام" ولا تزال صلته بالشيخ مستمرة ولله الحمد. وأما فضيلة الشيخ القاضي إبْرَاهيم بن عبد الله بن عتيق ، وقرأ عنده: "رسائل شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب في التوحيد" و"العقيدة الواسطية" و"نخبة الفكر" وغير ذلك ، وأجازه الشيخ ابن عتيق بمسلسل فقه الحنابلة ، والمسلسل بالأولية. وشيخنا يجلّه ويحترمه ، ويقول عنه: هذا شيخنا الإمام ابن الإمام حفيد الإمام ابن أخ الإمام تلميذ الإمام ، فأحاطت به الإمامة من كلّ جهة ، فهو إمام من علماء الإسلام ، ووالده عبد الله بن حمد بن عتيق قاضٍ مشهور ، وكان مع جيش الملك عبد العزيز ، وسكن الغطغط فترة من الزمن ، وعمّه العلامة الإمام القاضي سعد بن عتيق ، وجدّه العالم الإمام حمد بن عتيق ، وشيخه الإمام العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، رحم الله الجميع. وأما فضيلة الشيخ العلامة المحدث المعمر عبد الله بن عقيل آل عقيل. وحَضرَ شيخنا بعض دروسه عام 1413هـ ، حضر عنده طرفاً من شرحه لـ "المدخل" لابن بدران ، و"بلوغ المرام " وبعض مجالس سماع "مسند الإمام أحمد" ، و كامل "منظومة القواعد الفقهية" وطرفاً من "الرحبية" ، وأجازه الشيخ فيما بعد بالرواية الحديثية. ثم خرّج له شيخنا إجازةً تضم أوليَّات مسموعاته عن شيخه علي بن ناصر أبو وادي سمّاها "الأوائل العقيلية" وقرأها عليه كاملة بإسناد الشيخ ابن عقيل إلى الأئمة ، وذلك في مجلس فقيه الطائف ومفتيها الشيخ عبدالرحمن بن سعد العياف حفظه الله. وكذلك درس العلم على شيخ عظام آخرين منهم: فضيلة الشيخ عبدالله بن غديان ، وفضيلة الشيخ المحقق إسماعيل بن سعد بن عتيق ، وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن فنتوخ ، وفضيلة الشيخ محمد الشدِّي رحمه الله ، وفضيلة الشيخ المحدث عبد الله بن عبدالرحمن السعد ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن منيع وفضيلة الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي رحمه الله ، وفضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن بن سعد العياف الدوسري ، وفضيلة الشيخ المحدث أبي عبد الإله مشعان بن زايد الحارثي ، وفضيلة الشيخ عبد الوكيل بن عبدالحق الهاشمي ، وفضيلة الشيخ يحيى بن عثمان العظيم آبادي ، وغيرهم كثير. وقد تحصّل على الإجازة الحديثية من أكثر من مائة وخمسين شيخاً من علماء الإسلام في مكة والمدينة ونجد واليمن والعراق والشام والهند وباكستان ومصر والمغرب والسودان والجزائر وغيرها ، ذكرهم في ثَبَتِه الكبير "المنحة الإلهية بالإجازة الحديثية" وغيره من الإجازات المختصرة ، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن عبد

الستار الدهلوي السَّلفي من باكستان ، والشيخ عبد القهار بن الشيخ عبد الوهاب الدهلوي من باكستان ، وشيخ الحديث أبو مسعود محمود أحمد حسن بن محمد عثمان من باكستان ، والشيخ الأصولي عبد الرحمن بن الطالب الحبيب شطو من المدينة النبوية ، والشيخ المحدث عاصم بن عبد الله القريوتي من المدينة النبوية ، والشيخ المحدث فيض الرحمن فيض المئوي الهندي رحمه الله تعالى من الهند ، والشيخ عبدالرحمن بن عبيد الله الرحماني من الهند ، والشيخ رضا الله المباركفوري رحمه الله، من الهند ، والشيخ عبيد الله الرحماني رحمه الله ، من الهند ، وهو غير صاحب المرقاة ، وهو يروي عن والده ونذير الأملوي ، وعبد السلام البستوي ، وعبيد الله المباركفوري ، ووالده يروي عالياً عن حسين بن محسن الأنصاري ، ونذير حسين الدهلوي ، وبشير السهسواني ، ورشيد الكنكوهي ، وقاسم النانوتوي ، والشيخ المحدث الدكتور وصي الله عباس خان المدرس بالمسجد الحرام ، والشيخ العلامة محمد بن عبد الله بن سبيل إمام المسجد الحرام ، والشيخ المحدث أحمد بن يحيى النجمي عالم الديار الجنوبية رحمه الله ، الشيخ الأديب البارع عبد الغني بن محمد الدقر رحمه الله من سوريا ، والشيخ العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني قاضي قضاة اليمن ، والشيخ المحدث محمد بن الأمين أبو خبزة ، محدث تطوان من المغرب ، الشيخ المحدث عبد الغفار بن حسن الرحماني من إسلام أباد بباكستان ، الشيخ القاضي المعمّر الفرضي رشيد بن محمد القيسي قاضي حَقْل رحمه الله ، والشيخ إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني من المغرب ، والشيخ المعمّر عبد القادر بن عبدالله الحسني رحمه الله من صنعاء ، والشيخ المحدث المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي من العراق ، والشيخ محمد بن عبد الرزاق الخطيب رحمه الله ، من سوريا ، والشيخ المحدث شمس الحق بن عبد الحق الملتاني رحمه الله من الهند ، والشيخ المحدث عبد المنان بن عبد الحق النورفوري من الهند ، والشيخ المحدث الأديب المؤرخ زهير الشاويش ، وقرأ عليه أوائل الكتب الستة ، وله به صلة قوية ، والشيخ المعمر القاضي العابد محمد عبد الله آد الشنقيطي المدني رحمه الله ، الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع من صنعاء ، وغيرهم كثير! وأما عن المؤلفات والتحقيقات: فلقد أكرمه الله تعالى بالتأليف ، وحسن التصانيف ، فكتب وجمع ، وحقق وبرع ، وردّ على أهل البدع ، وله من المؤلفات المطوّل والمختصر في فنون شتى ، مع الاشتغال بالدعوة والتعليم ، وحياته الوظيفية ، ومن مؤلفاته: (التعليقات المرضية على القصيدة الحائية" وهو أول مؤلفات شيخنا ، كتبه عام 1412تقريباً وهو على رأس العشرين من عمره - التعليقات الحسان على أخطاء رضا بن نعسان في تحقيقه لكتاب الإبانة لابن بطة العكبري ، وهو كسابقه ، ألّفه شيخنا وعمره 21 سنة - إقامة الحجة والبرهان على كفر من قال بخلق القرآن وتحقيق خروجه من الملة" ألفه عام 1414هـ ، وقرّظ له جماعة من أكابر العلماء كـ: شيخ الإسلام الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي رحمهما الله ، والشيخ عبد الرحمن العياف ، والشيخ صالح الفوزان ، والشيخ عبد الله بن منيع حفظهم الله ، وقد طبع - وصيتي للإخوان بمنهج أهل السنة في نصيحة السلطان ، قدم له فيه الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع ، وهو مطبوع - المحصول شرح ثلاثة الأصول سبق الإشارة إليه ، أملاه عليّ شيخنا في بيته ، فاعتنيتُ بشرحه ، ورتبته ، وعرضته عليه فأذن بطبعه ، فطُبِعَ - كشف المعرة في إثبات أن الحج لم يجب في العمر إلا مرة ، وطبع - وغيره الكثير!) وأما عن الإسهامات والجهود التعليمية والدعوية ، فلقد منحه الله الحرص على تعليم الناس الخير، بالوعظ في المساجد

وإقامة الدروس ، وكان أول جلوسه للتدريس عام 1415هـ ، فالتفّ حوله جملة من طلاب العلم يقرأون عنده - في منزله ، وفي مسجد حيّه المجاور- العديد من المتون العلمية كرسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب المختصرة ، و"حائية ابن أبي داود" و"لمعة الاعتقاد" و"الأربعين النووية" و"البيقونية" و"النخبة" و"تائية الألبيري" و"الورقات" و"الرحبية" وغير ذلك ، كما درّس في جامع خادم الحرمين الشريفين بالحوية ، وشرح العديدَ من الكتب منها "كتاب التوحيد" و "فتح المجيد" و "كشف الشبهات" و "نخبة الفكر" و "حائية أبي بكر بن أبي داود" وغير ذلك. وفي جامع الدعوة يشرح "تفسير ابن كثير" و"الإبانة الصغرى لابن بطة" و"العقيدة الواسطية" و"شرحها" للفوزان ، و"ثلاثة الأصول" و"حاشيتها" لابن قاسم ، و"القواعد المثلى" "وعمدة الأحكام" و"تذكرة السامع والمتكلم" وغير ذلك. ولشيخنا مشاركات عديدة في الدورات العلمية المقامة في كلّ صيف ، كدورة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بالطائف ، ودورة الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله المقامة في الباحة ، وكذا بعض الدورات العلمية في دولة الكويت. وله المشاركة بالمحاضرات والخطب في بعض القطاعات العسكرية والدوائر الحكومية. وله مشاركات وتعقيبات عديدة على بعض الكتّاب في الصحافة اليومية. ويلاحظ الناظر في دروس شيخنا تنوعها في علوم الشريعة إلاّ أن عنايته الفائقة ، واهتمامه الأكبر منصبٌ على علم التوحيد ، فهو لا يملُّ من تكرار شرح المتون فيه ، وسرد مطولاته ، ويحث الطلاب على تعلُّمِه وتعليمه للناس ، ولم تخلُ حلقة من حلقات دروسه من كتابٍ من كتب التوحيد. ومع شدته على أهل البدع والأهواء ، وتحذير الناس منهم! إلا أنه شديد الترهيب من الغيبة والكلام في الأعراض ، ويكره التجاوز في ذمّ المخالفين بما ليس فيهم أو في مقام لا مصلحة لنقدهم فيه ، ويقول بأن الأصل في أعراض المسلمين الحرمة ، وأن هذه الحرمة إنما أبيحت لضرورة بيان حال المخالف ، والضرورة تقدّر بقدرها ، فلا يجوز أن تُنْتَهك هذه الحرمة بأكثر مما أحل الله تعالى بسبب هذه الضرورة الشرعية الراجحة ، وله في ذلك رسالة نافعة وهي "الرسالة العينية" ومختصر مضمونها ذكرها في محاضرة صوتية مسجلة بعنوان "نصائح وتوجيهات عامة").هـ. لقد أردتُ بهذه المقدمة الطويلة التي خصصتها للحديث عن مسيرة الدكتور بدر العتيبي – حفظه الله – لأثبت للقراء أن آراءه وأحاديثه ووصاياه ودفاعاته لا تصدر عن حاطب ليل مرتزق متعالم جاهل يأكل بالعلم كتاباً وسُنة! إنما نحسبه حقيقة من طلاب العلم الأفذاذ المغاوير الذين يحققون قولهم ويدققون!)

أمضَـــى مِـــن النبـــل مـــا تُلقيـــه مِـــن كَلِـــمِ ... والحُمـــقُ إن ترمِـــهِ – بالنبـــل - ينهـــزم

يـــا (بـــدرً) جهّـــز – مـــن النبـــال - أغلظهـــا ... وسُـــلّ ســـيفك للبـــاغين ، وانـــتقم

واشـــحذ رماحَـــك ، واجعلهـــا مُدبّبـــة ... فـــالحربُ أشـــهرُ مـــن نـــار علـــى علـــم

وشُـــدّ قوســـك مـــا الجـــدوى إذا انشـــرقتْ؟ ... يـــا صـــاح دارت رحـــى الهيجـــاء عـــن أمـــم

وارقـــبْ سِـــهامك فـــي مـــأوى رمِيّتهـــا ... مـــا نفـــعُ ســـهمك لـــو دون المـــراد رُمـــي؟

ألا تـــرى زمـــر العـــادين قـــد خرجـــتْ ... علـــى الـــديار بكيـــدٍ غيـــر منـــبهم؟

ألا تـــــراهم بـــــلا رُشْـــــدٍ ولا سَـــــنَدٍ ... يُلوّثـــــون كِـــــرامَ النـــــاس بـــــالتهم؟

لا يرعـــــــوون ، ولا تقـــــوى تُهـــــذبهم ... أمـــا الـــدعاوى كمثـــل الســـيل ذي العـــرم

ألا تـــــراهم وقـــــد هـــــاج الســـــعارُ بهـــــم ... يـــــدمرون أصـــــول المـــــنهج اللقـــــم؟

فكـــم يُثيـــرون بـــين النـــاس مـــن بـــدع ... بمكـــــر مجتـــــرئ ، وخبـــث مجتـــــرم!

وكـــم يـــذرّون – فـــي التنظيـــر مـــن شُـــبهٍ ... تصـــيب ســـامعها بـــالوهْن والســـأم!

وكـــم يعـــادون أهـــل الحـــق فـــي وضـــح ... مـــا بـــين كهـــل ســـما فـــيهم ومحـــتلم!

وكـــم يســـوقون تضـــليلاً بـــه عُرفـــوا! ... والســـــاحة امـــــتلأتْ بالـــــدس والإزم

يُحْيـــون مـــا زال مـــن ماضـــي أكـــابرهم ... ويهرفـــون بمـــا ســـاقوا مـــن الجُـــرُم

حتـــى الأشـــاعرة الجهـــال مـــا اعتـــدلوا ... فيمـــا افتـــروه ، لعـــاً للعيـــر والـــبُهُم!

وثـــم مرجئـــة جـــاؤوا بفتنـــتهم ... مـــن بعـــد أن عبـــث الشـــيطان فـــي الـــذمم

ولســـتُ أنســـى فـــرى جهميـــةٍ جبنـــتْ ... عـــن التنـــاظر جبنـــاً غيـــر منكـــتم

وللـــــروافض تحريـــــفٌ إليـــــه دعَـــــوْا ... كـــم دافعـــوا عنـــه! كـــم تـــاقوا لســـفك دم!

والنـــاسُ تـــدري الـــذي الصـــوفية اخترعـــوا ... مـــن الضـــلال زكـــا فـــي المرتـــع الـــوخم

ذي فتنـــــة سُـــــعِرَتْ تجتـــــاح صـــــحوتنا ... شُـــــواظها مُفعـــــمٌ بـــــالوَهْج والأيُـــــم

يـــا (بـــدرُ) أنـــت لهـــا ، فاصـــمدْ لكبتهـــا ... ومَـــن يُـــردْ نصـــرَه بـــالله يعتصـــم

ومـــن يَـــرُدّ علـــى البُغـــاة غيـــرُ فتـــى ... مستبســـل بهُـــدى الإســـلام ملتـــزم

ولا أزكّـــي - علـــى رب الـــورى - أحـــداً ... لكـــنْ نظـــن بـــأن (البـــدر) ذو قِـــيم

تعقـــبِ الكـــل ، مـــن غـــابوا ومـــن حضـــروا ... وباغـــتِ المفتـــري فـــي كـــل مصـــطدم

وأخـــرسِ البُلـــهَ مـــن فـــاهوا ومـــن صـــمتوا ... واثـــأر لشـــيخك يـــا دكتـــور عـــن رغـــم

أوتيـــت مـــن أرج البيـــان أعذبـــه ... إن قلـــت نلـــت ، وإن خططـــت بـــالقلم

والشـــعر عُلمتـــه تعلـــيم منفـــتح ... عليـــه ملتـــزم بعلمـــه الـــتمم

والـــــنظم أتقنتـــــه إتقـــــان محتـــــرفٍ ... أكـــرم بـــنظم عـــلا فـــي الســـبك منـــتظم!

وللكتابـــــــة فحواهـــــــا وزخرفهـــــــا ... مـــن كـــل نـــص بخـــط (البـــدر) معـــتلم

أمـــا الخطابـــة بـــات (البـــدر) رائـــدها ... بلفـــظ فـــذٍ عفيـــف الـــنفس محتـــرم

وللمحاضـــــــرة انبريـــــــت مـــــــرتجلاً ... حتـــى ســـبيت عقـــول العُـــرب والعجـــم!

مـــا الظـــن إمـــا أعـــدّ الـــنص يســـبقه ... تحقيـــق فحـــواه والـــدليل والكلـــم؟

يـــا (بـــدرُ) عَجّـــلْ ، فـــإن الفتنـــة اســـتعرتْ ... وطالـــتِ اليـــوم أهـــل العلـــم والســـلم

أمـــا ســـمعت بتســـفيه وسفســـطةٍ ... تـــروج بـــين رمـــوز النـــاس والعَمَـــم؟

عـــن (ابـــن عبـــد الوهـــاب) البـــدءُ كـــان بـــه ... بمنطـــق ظـــاهر البهتـــان ذي جُـــرُم!

تعيـــبُ تحفتـــه: (التوحيـــد) ، عـــائبُهم ... فـــي الجهـــل لـــيس لـــه فـــي العـــالمين ســـمي

ونـــال حِصـــته فيهـــا (ابـــن قيّمنـــا) ... يـــا لهـــفَ نفســـي علـــى معلـــم حَشِـــم!

الاثنـــان هـــل خرجـــا علـــى شـــريعتنا؟ ... هـــل خالفـــا سُـــنة للمصـــطفى الهشـــم؟

أيـــن الـــدليل علـــى مـــا قيـــل يـــا سُـــفها؟ ... ألا تخـــافون ثـــأر القـــاهر الحكـــم؟

يـــا مـــن تبعـــتم مُضِـــلاً لا يُتابعـــه ... إلا جهـــولٌ علـــى التحقيـــق جـــدّ عمـــي!

يـــا (بـــدرُ) رُدّ علـــى مـــا قيـــل محتســـباً ... وأنقـــذ الصِـــيدَ مـــن بـــراثن القحَـــم

وفنـــــدِ الشـــــبه الرعنـــــاء مُـــــدّرعاً ... بجُنـــــة العلـــــم ، لا الأمثـــــال والحِكَـــــم

وكِـــلْ علـــيهم بمـــا كـــالوا بـــلا خـــوَر ... وانـــزع ســـموماً ســـرتْ فـــي جَفنـــة الدســـم

ولا تكـــن وانيـــاً فـــي الحـــق تنشـــره ... واذكـــر دعايـــة (هـــود) الحـــق فـــي إرم

لـــم يـــألُ جهـــداً ، ولـــم يخـــش اللحـــاق بـــه ... فـــرداً ، وأنـــذر عـــن عبـــادة الصـــنم

واذكـــــر نبيـــــك إذ دعـــــا قبيلتـــــه ... وأنـــذر القـــومَ فـــي (البطحـــا) وفـــي (إضـــم)

لـــم يخـــش بـــاطلهم فـــي أوج حيرتـــه ... بـــل اســـتعان بـــرب النـــاس ذي الـــنعم

والله حاميـــك مـــن أضـــغان خندمـــةٍ ... إمـــا زكـــتْ نارهـــا ، أو الـــوطيسُ حمـــي

يـــا (بـــدرُ) خـــذلْ عـــن الأفـــذاذ ســـادتنا ... أســـلافنا مَـــن نـــرى فـــي الكـــون كـــالنجُم

مَـــن مِـــثلكم؟ ســـاحة التنظيـــر قـــد عقمـــتْ ... مَـــن لـــي بمستبصـــر ذي حجـــةٍ فهـــم؟

إفحامُـــك الخصـــم آمـــالٌ نتـــوق لهـــا ... ونصـــرة الخصـــم تُبلـــي القلـــب بالوصـــم

دَيْـــنٌ عليـــك لأشـــياخ بلغـــت بهـــم ... فـــي العلـــم يـــا صـــاحبي ذؤابـــة الهـــرم!

فـــوفّ دَينـــك ، لا تُمْطِـــلْ إلـــى أجـــل ... أصـــحاب دَينـــك فـــي شـــوق وفـــي نهـــم!

إن الخصـــوم تمـــادَوْا فـــي تطـــاولهم ... كـــلٌ يلـــوك الفِـــرى كـــالمَعز والـــبُهُم

شـــتان بـــين خصـــيم بـــات منتصـــراً ... وآخـــر مِـــن لظـــى التنظيـــر مـــنفحم!

حِمـــى شـــيوخك مَســـلوبٌ ومُنتهـــكٌ ... فأرســـل الســـيف فـــي أحشـــاء مقـــتحم!

لا خيـــر فينـــا إذا أســـلافنا شـــتموا ... إنـــي أرى شـــتمهم مـــن أتعـــس الـــنقم

لا بـــد للأمـــر مـــن داع يُفجّـــره ... شـــتان شـــتان بـــين الصـــدع والـــبَكَم!

يـــا (بـــدرُ) أوقـــدْ ســـراجَ الـــذودِ مؤتلقـــاً ... ليـــذهب النـــور بعـــد الـــذود بـــالظلَم

إنـــي أراك علـــى ثغـــر ، فكـــن فطنـــاً ... لمـــا يُجَهـــز أهـــل الـــدس والغشـــم

حـــافظ علـــى ثغـــرك المقســـوم ، إن لـــه ... شـــأناً عظيمـــاً ، فـــذا مـــن أعظـــم القِسـم

لـــولا أحبـــك مـــا ناصـــحتُ محـــتملاً ... عهـــدَ الإخـــاء ومـــا يحـــوي مـــن اللـــزم

أراك فـــي ســـاحة التنظيـــر فارســـنا ... ونحـــن خلفـــك فـــوق الأينـــق الرسُـــم

لـــن نســـتكين لمـــن ينـــال ســـادتنا ... أهـــل التصـــانيف ، أهـــل العلـــم والشـــيم

أعـــداؤهم فـــي وهـــاد الجهـــل مـــا رفعـــوا ... رأســـاً ، وأهـــل التقـــى والعلـــم فـــي شـــمم

لـــن نقبـــل الضـــيم يكـــوي عـــز سُـــمعتهم ... والضـــيمُ يمحـــق بـــأس النـــاس والأمـــم

مـــا قيمـــة العـــيش إن نيلـــتْ حنيفتنـــا؟ ... أولـــى بنـــا رقـــدة فـــي بائـــد الـــرجَم

دِيـــنُ المليـــك لنـــا الحيـــاة أجمعهـــا ... نعـــم الحيـــاة علـــى الإســـلام والقِـــيم!

ومـــا الحيـــاة إذا مُســـت دِيانتنـــا؟ ... شـــتان شـــتان بـــين العـــيش والعـــدم!

نحـــن الأســـود إذا عشـــنا لشـــرعتنا ... والـــدُّورُ إن أســـلمتْ أقـــوى مـــن الأجُـــم!

ومَـــن عِـــدانا؟ فهـــم كالشـــاء إذ رتعـــتْ ... شـــتان شـــتان بـــين الأسْـــد والغـــنم!

نحـــن الغطـــاريفُ إن ذدنـــا بـــلا وجـــل ... عـــن الصـــناديد خيـــر النـــاس والنســـم

يـــا ابـــن (العُتيبـــيّ) أحببنـــاك دون لقـــا ... ودون قربـــى مَـــداها بـــالغ العِظـــم

فقـــط ســـمعنا الـــذي أســـديت مـــن زبـــدٍ ... مَـــن يتبعهـــا يعـــشْ فـــذاً ويســـتقم

مـــن القصـــائد أشـــجتنا مقاطعهـــا ... وأطربتنـــا بعـــذب اللفـــظ والـــنغم

مـــن الأهـــازيج يختـــال البـــديعُ بهـــا ... بـــدتْ كحبـــات عقـــدٍ غيـــر منفصـــم

مـــن النصـــائح بـــذلُ العلـــم طابعُهـــا ... يـــا حبـــذا العلـــم بـــين الصِـــيد مـــن رحـــم!

أمـــا الوضـــوح فحـــدّثْ ، ثـــم لا حـــرجٌ ... فلـــيس مـــن مُشـــكل فـــي الـــنص منـــبهم

كالصـــبح قولـــك إن بـــدت نضـــارته ... شـــتان بـــين ضـــياء الصـــبح والغســـم!

رعـــاك ربـــي ، ونلـــت الخيـــرَ أجمعَـــه ... مـــا ذدت عـــن دينـــه بهمّـــة الفهـــم

لا فـــضّ فـــوك ، وقـــوّاك الإلـــه علـــى ... رســـالةٍ عضـــلتْ بـــالعُرب والعَجَـــم

ولا نـــدمت علـــى مـــا كنـــت باذلـــه ... فالفـــارس الفـــذ لا يـــأوي إلـــى النـــدم!

وصـــل رب علـــى المختـــار أســـوتنا ... والآل والصـــحب أهـــل الجـــود والكـــرم

هـــا قـــد فرغـــتُ مـــن التقصـــيد أعلنهـــا ... وذاك يـــا (بـــدرُ) تـــذييلي ومُختتمـــي!

تحية لمحمد المجذوب

(ديوان (همسات قلب) للشاعر محمد المجذوب يستحق التحية لما احتوى من خلجات ونفحات. وكنت قد أهديتُ الديوان ، وطالعته فألفيته إشراقات مشاعرية تضيء حوالك الظلم في دروب الناس. وكان الشاعر قد نوّع قصائده. وترفع الشاعر عن الركاكة والتكرار الممل ، ولم يكن أسير الصنعة بقدر ما كان ميالاً إلى الإمتاع بالشعر. وقليل من الشعراء من يراعي هذه الأشياء. فأغلبهم يكون أسيرَ النص لا سيده! والذي أراه أن الشاعر المجذوب كان في جُل ما صاغه من الشعر سيداً للنص بكل ما تعنيه الكلمة! والسيد يتحكم ويأمر وينهى كما يريد. فخرجت قصائد الديوان كما يريد شاعرها لا كما تريد القصائد. ومن هنا أكتب في تحيته هذه القصيدة.)

نِعـــمَ القصـــائدُ صـــاغهن هُمـــامُ! فبهـــا تـــزول عـــن الـــورى الآلامُ

(همســـاتُ قلـــب) بالمحبـــة توّجَـــتْ وتـــزفهن - إلـــى الـــورى - الأنغـــام!

صُـــبغتْ بـــألوان المـــودة والصـــفا ويســـوقهن - إلـــى القلـــوب - وئـــام

طهُـــرتْ مـــن الـــرجس البغـــيض يَشـــينها عـــن كـــل غـــيٍّ ردهـــا الإســـلام

والشـــاعر (المجـــذوب) أبـــدع رســـمها فســـما بهـــا ، وكأنـــه رســـام

هـــذي القصـــائد مـــن روائـــع شـــعرنا ولهـــنّ فـــي ســـاح القـــريض مَقـــام

حَييـــتُ فيهـــا رمزهـــا وطيوفهـــا والواجهـــاتِ ، ومـــا علـــيَّ مَـــلام

دُررٌ تشـــخِّص واقعـــاً متأرجحـــاً تســـمو علـــى مـــا خطـــت الأقـــلام

والشـــعر إن جـــافي الحقـــائقَ لا تـــرى أرجـــاً لـــه ، وتعافـــه الآنـــام

تعـــسَ الهُـــراء ، فكـــم يعرقـــل جهبـــذاً ولـــه لأقـــلام الخـــواة سِـــهام!

والشـــاعر المغـــوار مَـــن يَهـــدي الـــورى للحـــق ، مِـــرقمُ مـــا يَخـــط حُســـام

يجتـــث باطـــل مَـــن ينـــال مِـــن الهُـــدى ليُصـــد قـــومٌ جاحـــدون لئـــام

ويُسَـــخر الأشـــعار تخـــدم شِـــرعة وبهـــا تعـــالج - فـــي الـــدنا - الأســـقام

إن لـــم تكـــن هـــذي مقاصـــدَ شـــعرنا فجميـــعُ مـــا كتـــب الأبـــاة حـــرام!

الشـــعرُ إحســـاسٌ ، وصِـــدقُ مشـــاعر وتعفـــفٌ يَهـــدي لـــه العـــلام

الحراسُ الأمناء

(ألا إن أحاديث الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تعتبر وحياً ، وتدخل في الآية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وإذن فالذكر هنا يشمل الوحيين: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث. وإن الله جَندَ للكتاب حراساً أمناء ، كانوا قد كتبوه وحفظوه ورعوه وقاموا على شأنه ودعوا إليه بكل إخلاص. وجاهدوا في سبيله ، وحَمَوْه بالدم والنفس والمال والولد والبلد. وكذلك السنة. وكنتُ أظن أن الإمام الزرقاني بكتابه: (المقاصد الحسنة) والشوكاني بكتابه: (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) قد أحصيا كل الموضوعات. فإذا بي وبعد استقراءٍ للتاريخ دقيق أجد أن الحُراس الأمناء أكثر أن يُعَدوا كثرة. وكلهم قد كرّسوا وقتهم ورصدوا المال لخدمة السنة ، فغفر الله لهم حمايتهم وحراستهم للسنة بأمانة. وجديرٌ بي أن أذكر شيئا هنا في مقدمة هذه القصيدة عن هؤلاء الأئمة الأعلام وشيئا عن جهودهم في حراسة السنة وحمايتها. * الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقاني المتوفى سنة 543هـ له كتاب الأباطيل. * الحافظ أبو الفرج بن الجوزي المتوفى 597هـ. له كتاب (الموضوعات). * السيوطي المتوفى90 هـ عقب علي بن الجوزي. وله كتب (النكت البديعة ـ الوجيز – اللآلئ المصنوعة – التعقبات). * محمد بن يوسف بن علي الشامي صاحب السيرة المتوفى942هـ له (الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة). * علي بن محمد بن عراق المتوفى963هـ. له (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة). * محمد بن طاهر الفتني الهندي المتوفى986هـ له كتاب (تذكرة الموضوعات). * المُلا على قاري المتوفى 1014هـ له (تذكرة الموضوعات – المصنوع من الحديث الموضوع) * محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي المتوفى 1304هـ له (الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة). * أبو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المتوفى 1305هـ له (اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع). * محمد البشير أو ظافر الأزهري المتوفى 1325هـ له كتاب (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد وخاتم المرسلين). •• الحافظ محمد بن طاهر المقدسى المتوفى 507هـ له (التذكرة في غرائب الأحاديث المنكرة). •• عمر بن بدر الموصلي المتوفى 543هـ له (المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب). وله أيضا: (العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة – معرفة الوقوف على الموقوف في الموقوفات). •• محمد بن محمد الطرابلسي السندروسي المتوفى 1177هـ له (الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي). •• ابن قيم الجوزية له (المنار). •• الحافظ العراقي له (تخريج أحاديث الإحياء للغزالي) وله (مختصرة لصاحب القاموس). •• ابن تيمية يعتبر أول من كتب في هذا الفن ، والدليل هو رسالته (أحاديث الخواص). وتوالت بعد ذلك كتاباته الجمة. •• بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى 794هـ له (التذكرة في الأحاديث المشتهرة – اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). •• أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى 852 هـ له (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). •• محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى 902 هـ له (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة). •• عبد الوهاب الشعراني الصوفي المتوفى 973هـ له (البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير). •• غرس الدين محمد بن أحمد الخليلي الأنصاري الشافعي المدني المتوفى 1057 هـ نظم قصيدة عذبة قوامها عشرة آلاف بيت وأسماها (كشف الالتباس عن الأحاديث التي تدور بين الناس) ، ثم شرحها في كتاب يحمل العنوان (تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من

الأحاديث بين الناس). •• نجم الدين محمد بن محمد الغزي المتوفى 1061 هـ له (إتقان ما يحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن). •• محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي الصنعاني المتوفى 1223هـ جمع في كتاب واحد (درر السيوطي ومختصر المقاصد للزرقاني والتمييز لابن الديبغ). وفي عصرنا الحديث لا ننكر جهود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تنقية الأحاديث ، فله (السلسلة الصحيحة – السلسلة الضعيفة). ولقد تعددت جهود العلماء في مقاومة الوضع ، وتضافرت العوامل العديدة التي ذكرتها في إنماء كمية الأحاديث الموضوعة وهددت السنة بالتشويه والتحريف لولا الجهود الجبارة التي بذلها العلماء في تنقية السنة. وتمييز الصحيح من السقيم ، فقاموا بمجهود رائع تمثل في التأكيد على الإسناد ، والرحلة في طلب العلم ، وتدوين الحديث ، ووضع علوم الحديث المختلفة ، والإسناد من الدين! فليعلم مدى الإسناد وأهميته وما يتصل بمعرفة رجال السند وهو أحد علوم الحديث المهمة ، ويطلق عليه "علم الرجال". يراد بالإسناد الطريق الموصل إلى المتن ، فالحديث إنما يروى عن طريق سلسلة من الرواة تبدأ بالراوي الذي يحدّث بالحديث وتنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور ، وعند غيرهم أن الإسناد رفع الحديث إلى قائله وكأنه مشتق ومأخوذ من قولنا من أسند في الجبل إذا صعد فيه وعلا على سفحه ، والسند للأخبار عن طريق المتن الذي من معانيه ما صلب من الأرض وارتفع منه. فإلى جميع الحُرّاس الأمناء الراحلين والأحياء والذين سيخلفون إلى قيام الساعة غاية وجودهم عبادةُ الله تعالى والحفاظُ على سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وحمايتها وحراستها ، أنشد قصيدتي من البحر الكامل!)

حَيَّيْتُ أهْلَ الفضْلِ والإحسانِ ... بتحيّةِ الإسلامِ والإيمانِ

مَنْ أخلصوا لله ما دانوا به ... واستمسكوا بشريعة الديان

مَنْ نافحوا عن دينهم بشجاعةٍ ... وتخصّصُوا في سُنة العدنان

كانت أحاديثُ النبي حياتهم ... إذ إنها وحيٌ من الرحمن

لم ينطق المختار - كلا - عن هوىً ... بل نُطقه وحيٌ من المنان

وأحبَ أهلُ العلم سُنة (أحمدٍ) ... فالسنة التبيانُ للقرآن

واستبسلوا في الذود عنها حِسبة ... وتحمّلوا في ذاك كل هوان

واستعذبوا - واللهِ - كل مشقةٍ ... حتى يردّوا فتنة الطغيان

هانت عليهم - في البلاء - نفوسُهم ... وتغرّبوا - قسْراً - عن الأوطان

سعياً وراء العلم دون ترهّلٍ ... كي يقمعوا تدجيلَ كل جبان

حتى يبوء الطاعنون بخيبةٍ ... ويبوء أهل الدسّ بالخسران

ومَن افترى زوراً يُفند قوله ... كيلا يُشوّش حاضرَ الأذهان

ومَن ابتغى تخريب سُنة (أحمدٍ) ... فليلق أصنافاً من العُدوان

لم يعتد العلماءُ دون جريرةٍ ... بل ندّدوا بمُخرفٍ خوان

وضَعَ الحديثَ على النبي (محمدٍ) ... ومضى يُغلبُ مبدأ الرُّجحان

حتى إذا قرأ الأحاديثَ الورى ... خُدِعوا بدس مُناوئ شيطان

حُراس سُنة (أحمدٍ) لم يسكتوا ... بل جاهدوا في عزةٍ وتفان

واستنقذوا كل الأحاديث التي ... صحّت ، وفيها ناصعُ البرهان

أمناءُ ما عملوا لغير مَلِيكِهم ... فجزاهمُ الرحمنُ بالإحسان

ظفِروا بشر عصابةٍ تئد الهُدى ... ويلٌ لكل مشككٍ طعّان!

مَن عاش يطعن في الحديث ونصّه ... ويُثير نارَ الحقد والشنآن

وينال مِن سَند الحديث تنذّراً ... ويَكيدُ في سر وفي إعلان

ويَعيب مَتناً ، ثم يكتبُ غيره ... مِن عندِه بالدس والبهتان

وله رفاقٌ لم يراعوا حُرمة ... بل أيّدوا ما كان مِن عصيان

وعلى مدى التاريخ دامتْ حربُهم ... كم أوقدوا في العلم مِن بركان!

فإذا بحرّاس الحديث كتيبة ... خرجتْ - على الآنام - بالفرقان

وتتبعتْ ما خط أصحابُ الهوى ... واستخرجتْ ما فيه من أدران

يا رب فارحمْ كل (حُرّاس الهُدى) ... واشملهمُ بالعفو والرضوان!

جمال الدنيا سراب

(إن الكتاب الذي يحوي العلم النافع يعد أوفى صديق في زماننا ، وأذكر والله يشهد أنني أقرأ منذ من عشرين سنة هي ثلثا عمرى تقريبا ، وأوقفتني القراءة على أخبار عجيبة فعلاً ، كان من بينها ما ذكره صاحب كتاب (من أخلاق العلماء جـ 9): هذا الموقف بين كل من الإمام النووي العالم الشاب الذي لم يتجاوز الأربعين على رواية ، والظاهر بيبرس ، يقول المؤلف: (لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب إليه فقهاء الشام بذلك ، فأجازوه. فقال: هل بقى من أحد؟ فقيل له: نعم بقى الإمام محى الدين النووي. فطلبه فحضر فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء حتى يكون الكل على هذه الفتوى. فامتنع النووي. فقال: ما سبب امتناعك ايها النووي؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتي جارية لكل جارية منهن حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري هذه بثيابهن دون الحلي أفتيك بأخذ المال من الرعية ، فغضب الظاهر بيبرس من كلامه. وقال بيبرس: أخرج من بلدي (عانياً دمشق) ، فقال النووي: السمع والطاعة وخرج بالفعل إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به في العلم والقول والعمل فأعده إلى دمشق. فأصدر بيبرس مرسوما برجوعه ، فامتنع النووي وقال: لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات بعد شهر. والمهم تذكرت في موقف النووي معايير كثيرة قد غابت عمن أخذوا مكان النووي اليوم ، تذكرت أمانة العلم والشجاعة في الحق والأدب في عرضه والعزة والتعفف عند الأذى في سبيل ذلك الحق ، ذلك أن الرزق والأجل بيد الله عز وجل وحده. وليس يشعر بما أقول إلا من عاش مثل هذا الموقف الذي عاشه النووي ذلك العملاق العظيم الذي لا أزكيه على الله – عليه من الله ربي الرحمة - ولعلي أقول هذا عن مجموعة تجارب مررت بها وعشتها الواحدة بعد الأخرى ، وأسأل الله أن يختم لنا بخير لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه. والحقيقة التي يجب أن يعلمها الجميع - من عمل لله ومن عمل لسواه - أن جمال الدنيا سراب وزخرف سوف يمضي وكأن شيئاً لم يكن ، جمال الدنيا سراب بقيعة يحسبه كل ظمآن ماء حتى إذا أدرك مكان السراب لم يجده شيئاً. وصدق الله إذ يقول: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)! وليت عُبّاد الدنيا من المرتزقة بالحنيفية السمحة يدركون ما أرشدتنا إليه الآيات من معان. إن جمال الدنيا سرابٌ علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، وتعامى عنه من تعامى. في كتاب له بعنوان: (حقيقة الدنيا) يقول الأستاذ عبد الكريم علي عبده الفهدي ما نصه: (ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة لتتبين لنا حقيقة هذه الدنيا ، المثال الأول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما الدنيا إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع"! والمعنى: «أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر». المثال الثاني: عن عبد الله قال: "نام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا: يا رسول الله لو

اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي والدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". المثال الثالث: عن سهل بن سعد قال عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ. فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ. قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ". كنفته: جانبيه ، أسك: صغير الأذنين. والمعنى العام للحديث: أن الدنيا عند الله أحقر وأقل شأناً من التيس الأسك الميت الذي لا قيمة له عند الناس. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. فإذا ما تأملنا هذا الكون العظيم فكم يكون حجم الإنسان بالنسبة للأرض؟ وكم يكون حجم الأرض بالنسبة للمجموعة الشمسية؟ وكم يكون حجم المجموعة الشمسية بالنسبة للمجرة؟ وكم يكون حجم المجرة بالنسبة للمجرات الباقية؟ سنقول واثقين مطمئنين لقول الله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). ولو قلنا فرضاً إن هذه المجرات الهائلة هي السماء الدنيا - السماء الأولى - أو فرضاً السموات السبع فكم تساوي هذه المجرات مع الأشياء التي لم تعرف إلى الآن بالنسبة للكرسي. إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخبرنا عن ذلك بمثال تقريبي يبين فيه عظمة هذا الكرسي! فقد صح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة". والكرسي هو الذي بين يدي العرش ، فالكرسي قد وسع السماوات والأرض مع عظم السماوات ومع عظم الأرض ، قال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ). وورد في بعض الآثار أن السماوات والأرض في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس ، والترس: هو المجن الذي يلبس على الرأس وما عسى أن تغطي الدراهم السبعة ، فالدرهم قطعة من الفضة صغيرة بقدر الظفر أو نحوه ، فماذا تغطي من ذلك الترس؟ فالسماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي هذا مقدارها منه ، والكرسي صغير أيضاً بالنسبة إلى العرش ، كما ورد أن الكرسي نسبته إلى العرش كحلقه ملقاة بأرض فلاة ، والحلقة: القطعة من الحديد ملتقية الطرفين. فإذا ألقيت حلقة في فلاة فماذا تشغل من تلك الفلاة؟ فالكرسي صغير بالنسبة إلى العرش ، فهو كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، فهذا دليل على عظم هذا الكرسي ثم عظم هذا العرش. فمن هنا نعرف عظمة هذا الكون وهذه الدنيا التي نعيش فيها ومهما تصورنا عظمتها واتساعها فهي لا تساوي جناح بعوضة كما نطق بذلك الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - إذ قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء").هـ. ويعقد الأستاذ محمد المنجد مقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فيقول: (لقد ابتلانا الله بهذه الحياة الدنيا لينظر كيف نعمل ، وجعل - سبحانه وتعالى - بعدها داراً أخرى فيها عجب العجاب ، حدثنا بما أعد فيها من النعيم ، لتتحرك الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وكل نعيمٍ في الدنيا ففي الجنة ما هو أكمل منه ولا تشابه بين النعيمين إلا في الاسم أحياناً فقط ، وأما الحقيقة فبينهما أعظم مما بين السماء والأرض من الفرق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء". رواه ابن عساكر، وصححه الألباني. وكل ما في الدنيا من الأنهار والسرر والفرش والأكواب ، مخالف لما في الجنة مما أعده الله - سبحانه وتعالى - ، ففي الدنيا بناء وفي الجنة بناء ، لكن شتان ما بين البناءين! بناء الدنيا يقضي الإنسان سحابة من عمره حتى ينجزه ، فإذا أنجزه ظل عرضة للفساد والانهيار ، والترميم

والإصلاح ، يرى خللاً في تصميمه ، وخللاً في تنفيذه ، ويعاني من ضيقٍ هنا ، ومن وحشة هناك ، أما بناء الجنة ، فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الجنة بناؤها لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ـ شديد الرائحة ـ ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران). رواه أحمد في مسنده والترمذي وصححه الألباني. قال الله ـعز وجل ـ : {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} ليس فيها خبث ، ولا هذه الروائح من المجاري ولا الأوساخ ، ولا آثار الانسدادات ، بيوت أهل الجنة خيام ليست من القماش ، لكنها من اللآلئ المجوفة ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون مِيلاً للمؤمن ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضاً). رواه مسلم. فهل رأيت يا عبد الله لؤلؤةٍ في الدنيا متراً في مترٍ فضلاً أن ترى هذه الستين مِيلاً؟ وأنهار الدنيا يعتريها ما يعتريها من التلوث بالنجاسات ، والأتربة والملوحة ، بل الجفاف والانحسار ، وأما أنهار الجنة فهي {مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} ، والكوثر حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب ريحاً من المسك ، وماءه أحلى من العسل ، ولونه أشد بياضاً من الثلج ، {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}. ونساء الدنيا وما أدراك ما نساء الدنيا بالنسبة إلى نساء الجنة ، فنساء الدنيا فيهن من أنواع الاعوجاجات لا تستقيم لك على حالٍ أبداً ، وكذلك فإن ما فيها من النقص مكدّر بهذا العوج في التفكير وهذا النقص في الجمال الذي يذهب شيئاً فشيئاً ، وكذلك ما يكون فيهن من عيوبٍ ، ففي نساء الدنيا من الحيض والنفاس والبول والعذرة والعرق وسيء الرائحة أحياناً ، وأما في الجنة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعلهن مطهرات أخلاقهن مطهرة).هـ.)

لكُـــلِّ فقـــهٍ رجـــالٌ ، ثـــم أركـــانُ ... وكـــل علـــم لـــه جيـــلٌ وبُنيـــانُ

فـــإن رأيـــت بـــأرض القـــوم مَلحمـــة ... فـــاعلم بـــأنّ لهـــا قومـــاً لهـــم شـــأن

فـــي كـــل معركـــةٍ ، لا بـــد مـــن بطـــل ... وحولـــه فـــي لقـــا الأعـــداء فُرســـان

وكـــم ســـمعنا مـــن التـــاريخ عـــن رجـــل ... لـــه مَعـــينُ الهُـــدى والـــوحي عُنـــوان!

يُعلـــم النـــاس ، يمحـــو زيـــف غفلـــتهم ... ويقمـــع الشـــر ، إنَّ الشـــر طوفـــان

وينشـــر الهَـــديَ فـــي دنيـــا يُخربهـــا ... بـــأسٌ وقهـــرٌ وأمـــوالٌ وشـــيطان

يُحـــارب الجهـــل فـــي نفـــس بـــه شـــغفتْ ... وأبحُـــر الجهـــل أنـــواعٌ وألـــوان

يُـــدرّس الفقـــه فـــي ديـــن المليـــك ، ولا ... يرضـــى بـــديلاً ، فـــإن الفقـــهَ تِبيـــان

ويَبـــذلُ المـــالَ فـــي علـــم يســـود بـــه ... فبـــذلُ مـــال الفتـــى فـــي العلـــم عِرفـــان

هـــذي الحيـــاة ســـفينٌ فـــي حقيقتهـــا ... وصـــاحبُ العلـــم فـــوق المـــتن ربـــان

والفـــارسُ (النـــوويّ) فـــي مُقدمـــةٍ ... تصـــغي لـــه عنـــد قـــول الحـــق آذان

فالضـــاد تعرفَـــه ، والفقـــه عـــن كَثَـــب ... والأرضُ تعرفـــه ، والإنـــس والجـــان

كـم فـي الحـديث لـهُ شـرحٌ بـه زُبَـدٌ! ... وفـــي العقيـــدة كـــم للفـــذ أركـــان!

أســـفار علـــم لـــه زادتْ علـــى مائـــةٍ ... مِـــدادُها العلـــمُ ، والقِرطـــاسُ إحســـان

وصـــاحبُ المُلـــكِ لـــم يكســـرْ عزيمتـــه ... إن العزيمـــــة والإيمـــــانَ صِـــــنوان

أراد أخـــــذَ نقـــــودٍ مِـــــن رعيتـــــه ... مـن غيـر حـق لـه ، والنـاسُ قـد لانـوا

يـــردي التتـــار بهـــا ، يُعـــزّ دولتـــه ... ولـــيس فـــي الـــرأس كُرسِـــيٌّ وتِيجـــان

فـــإنَّ (بيبـــرسَ) معـــروفٌ بغَيرتـــهِ ... مُوحّـــــدٌ زادُهُ هـــــديٌ وقَـــــرآن

أفتـى لـه الكـل: خـذْ مـا شـئتَ مـا لَهُـمُ ... وجاهـــدِ الشـــرَ كـــي ينـــزاحَ طَغيـــان

لِمَـا يَـروْنَ علـى بيبـرسَ مِـنْ حَنَـفٍ ... فلـــيس فـــي قلبـــه المقـــرورِ صُـــلّبَان

لكنمـــا (النـــووي) قـــال: لـــيس لكـــم ... عنـــدي دليـــلٌ علـــى مـــا قَلّـــتُ فَيْنَـــان

أنفـــق حَـــوائِصَ مـــا مُلَكْـــتَ مِـــنْ عُبُـــدٍ ... وبـــعْ حُلـــي الجـــواري ، ذاكَ فَرقـــان

فـــإنْ كَفَـــاك أيـــا (بيبرسَـــنا) فبِهَـــا ... وإن أردت ربـــــاً فَأَنْـــــتَ سُـــــلطان

إن قلـتَ: هـاتوا فمـا يعصـيك مِـنْ أحـدٍ ... إن الرعيـــة ـ عنـــدَ الخيـــر ـ عُبْـــدان

فاســـتعبدت سَـــوْرَةُ الســـلطان عزمتَـــهُ ... طـــارَ الصـــوابُ ، وقـــال السُّـــوَء غَضْـــبَان

فقـــال (بيبـــرسُ): فـــاخرجْ مِـــن مـــدينتنا ... ضـــاقتْ بـــكَ اليـــومَ أمصـــارٌ وأوطـــان!

فأومـــــأ (النّـــــوويُّ) أنَّ طـــــاعتَكم ... فـــرْضٌ علـــيّ ومَـــنْ لحُكمكـــم دانـــوا

مـــا دام فـــى طاعـــة الـــرحمن أمـــرُكُمُ ... وأنـــتَ فيهـــا إذن ، وتلـــكَ أيمَـــان

اللهُ أكبـــرُ ، إنَّ العلـــم ذو شـــرفٍ ... وكـــل محتقـــر للعلـــم دُهقَـــان

يـــا (مُحيِـــيَ الـــدين) ذَرَّ العِـــز فـــي دمِنـــا ... فقـــد تعبـــدَنا فـــي الـــدارِ حِيتَـــان

أهـــلُ العلـــوم مضـــتْ أيـــامُ سُـــوْدَدِهم ... وعـــاث مِـــن بعـــدهم فـــي الأرض عُقْبـــان

كـــلٌّ يبيـــعُ لأهـــل الحُكْـــم مِلّتَـــهُ ... عمالـــةً قادهـــا فـــي الـــدار ذوْبَـــان

أقلهـــم خطـــراً مَـــنْ كـــان مُرتزقـــاً ... ومَـــن يُحَـــرِّفُ وحـــيَ الله ثَعبـــان

ويَثْبُــتُ اليــومَ مَــن بــالله معتصــمٌ ... ومَــن تعلــق بــالمخلوق خَســران

فــاللهُ ناصــرُ مــن – دومــاً – يَلــوذ بــه ... ويَخــذلُ اللهُ مَــن ضــلوا ومَــن هــانوا

يــا أيهــا القــوم ، إن اللهَ جــامعُكم ... ليــوم حشــر ، وعنــد الله مِيــزان

مــا لــى أراكــم هجــرتم أمْــرَ بــارئكم؟ ... وقــد صــددتُم ، وهــذا الصــدُّ هجــران

مــا لــي أرى جمعكــم فــي التيــه مُنجَــدِلاً ... ووجهــه مِــن بيــان الحــق خَزيــان؟

يزخــرف الزيــف بالآيــات مــرتجلاً ... أبِالتحايُــلِ وجــهُ الحــق يَــزدان؟

فــيمَ التعلــقُ بالــدنيا وزخرفهــا؟ ... مــا للبيــب بهــذي الــدار عمــران!

وإن فقــدتُم لــدنياكم عقيــدتكم ... فهــل لشَــرخ العُــرى يــا قــومِ جُبــران؟

إنــي أهيــبُ بكــم ، والله غايتُنــا ... أن تســتقيموا ، ثــوى فــي الغــي إمعــان

خــافوا القيامــة ، إن الله ســائلَكم ... وعنــد ربــك جنــاتٌ ونيــران

ففــي جهــنّم مَــن ضــلوا ومَــن كفــروا ... وفــي الجنــان تــرى مَــن بــالتقّى دانــوا

فاجعــل إلهــي جنــانَ الخُلــد مســكننا ... فالأنبيــاءُ بهــا ، والحُــور سُــكّان

والصــادقون ومَــن بــاعوا نفوسَــهُمُ ... والصــالحونَ ومَــن علــى الهُــدَى كــانوا

نحــنُ العُصَــاةُ ، فكــم خُنّــا شــريعتَنَا! ... وأنــتَ يــا ربَّنــا بَــرٌّ ورحمــن

وصــل ربِّ علــى المبعــوث أحمــدنا ... والآلِ والصَّــحبِ ، مــا قــد عــاشَ إنســان

الشافعي مناظراً

(في كتاب قصص الصالحين للأستاذ الدكتور مراد ص 172 ، أن الشافعي ناظر بعض الحاقدين عليه بحضرة الرشيد فسألوه عشرة أسئلة فأجابها ثم سألهم سؤالاً واحداً فعجزوا: (يُحكى أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي لأنه تربّع على قلوب طلاب العلم ، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة الفذة المعقدة ليختبروا ذكائه ، امام الخليفة الرشيد ، وهذه الأسئلة هي: * السؤال الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ، ثم خرج لحاجةٍ وعاد ، فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة ، فقد حرمت عليّ؟ فقال أهله: ونحن حرمت علينا كذلك. إجابة السؤال: إن هذا الرجل كان مشركاً ، فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله تعالى إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهمُ الشاة كما حرمتْ عليه. * السؤال الثاني: ما قولك في رجل له غلام ، فقال: هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟ إجابة السؤال الثاني: يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل! ثم بعد ذلك يسترد ما وهب. * السؤال الثالث: شرب مسلمان عاقلان حُران الخمر يحد أحدهما ولا يحد الأخر. إجابة السؤال الثالث: إن أحدهما كان بالغاً والأخر صبياً. * السؤال الرابع: لقيت امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً يا ابنيا وزوجينا ، وابني زوجينا. إجابة السؤال الربع: إن الغلامين كانا ابني امرأتين فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها ، فكانا الغلامين ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما. *السؤال الخامس: أخذ رجل قدح ماء ليشرب فشرب نصفه حلالاً ، وحرم عليه بقية ما في القدح. إجابة السؤال الخامس: إن الرجل شرب نصف القدح ورعف (أي تساقط الدم الأسود من أنفه) في الماء الباقي من القدح فاختلط الدم بالماء فصار مُحَرّماً عليه. * السؤال السادس: زنى خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم الرجم ، وثالثهم الجلد ، ورابعهم نصف الحد وخامسهم لا شيء عليه. إجابة السؤال السادس: استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل! والثاني كان محصناً متزوجاً ، والثالث غير محصن ، والرابع كان عبداً ، والخامس كان مجنوناً. *السؤال السابع: رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم. إجابة السؤال السابع: لما سلم الرجل عن يمينه رأى زوج امرأته التي تزوجها في غيابه ، فلما رآه حضر طلقت منه! ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال. * السؤال الثامن: ما تقول في إمام كان يصلي مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل ، ولما سلم الإمام وجب على الإمام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد على أساسه؟ إجابة السؤال الثامن: إن الرجل كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الرجل وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتاً للمقتول ، فجعله الإمام مسجداً. * السؤال التاسع: أعطى رجل لامرته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تفرغ ما فيه بشرط أن لا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق. إجابة السؤال التاسع: إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح ، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه. * السؤال العاشر: رأى رجل امرأة غلامين في الطريق فقبّلهما ولما سئل عن ذلك قال الرجل: أبي جدهما ، وأخي عمهما ، وزوجتي امرأة أبيها ، وقالت المرأة: أمي جدتهما وأختي

خالتهما؟ إجابة السؤال العاشر: إن الرجل كان أبا الغلامين ، والمرأة أمهما. فأعجب الرشيد بالشافعي ، وقال: لله در بني عبد مناف ، فقد بيّنت فأحسنت ، وفسّرت فأبلغت ، وعبّرت فأفصحت. فقال الشافعي: أطال الله عمر أمير المؤمنين ، إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة واحدة ، فإن أجابوا عليها فالحمد لله ، وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكفّ عني شرهم ، فقال الرشيد: لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي! فقال لهم: مات رجل عن 600 درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان النظر في توزيع التركة؟ فنظر بعضهم إلى بعض ، ولم يستطيعوا الجواب ، فقال الرشيد: قل لهمُ الجواب يا شافعي. فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثني عشر أخاً وأختاً ، فأخذتِ البنتان الثلثين أي 400 درهم وأخذت الزوجة الثمُن ، وهو 75 درهما ، وأخذت الأم السدس وهو 100 درهم ، وأخذ الأخوة الاثنا عشر 24 درهماً ، فبقي درهم واحد أخذته الأخت. فبتسم الرشيد ، وقال: أكثر الله في أهلي منك ، وأمر بألفي دينار فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته. وكانت للشافعي فراسة احتار فيها من شهدوه! فهذا أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) ينقل عن الشافعي أنه لما انتهى من تعلم الفراسة في اليمن مرّ على رجل في الطريق استضافه في بيته وأكرمه كرما شديداً. لكن الشافعي رحمه الله تعالى كان قد تفرّس في طبائع الرجل وعلم منها أنه ذو طبع خبيث ولئيم. فجعل يتقلب رحمه الله في فراشه طوال الليل وهو يقول: ما أصنع بهذه الكتب لو خابت فراستي في الرجل؟ لكنه لما أصبح وعزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن الشافعي ، فقال له الرجل وقد بانت حقيقته: وهل أنا مولى لأبيك؟ وقدم له فاتورة استضافته: الطعام بدرهمين ، وعطر بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدابتك بدرهمين...وهكذا! وختم كلامه بشتم الشافعي رحمه الله تعالى. فقال الشافعي لغلامه أعطه ما يريد ، وفرح رحمه الله تعالى بكتب الفراسة التي جمعها وعرف أنه لم تخب فراسته. وكان من أقواله المأثورة رحمه الله تعالى في علم فراسة الأبدان: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج ، وكل من به عاهة (خاصة من ولد بها) في بدنه. وقد جاءه رجل مرة ليسأله عن مسألة شرعية ، فقال له الشافعي رحمه الله: هل أنت نسّاج؟ فأجابه الرجل قائلاً: نعم وعندي أجراء. وجاءه مرة رجل يسأله مسألة فقال له الشافعي: من أهل صنعاء أنت؟ فقال: نعم. قال الشافعي: فلعلك حداد؟ قال: نعم! والحقيقة أن المناظرة تعتمد على مؤهلات منها الفراسة! فلو لم تكن عنده فراسة وحدس وتخمين لما كان يسيراً عليه أن يُناظِر!)

ليستِ الفتوى هوىً أو عنجهية ... أو مجاراة كعُرف الجاهلية

إنما الفتوى انضباط والتزامٌ ... بالذي أوحاه ديّان البرية

واسألوا التاريخ عن أهل ارتزاق ... تاجروا بالدين يا للفوضوية!

واستباحوا الحق ظلماً والمعالي ... واستكانوا للعطاءات الغوية

واستبدوا كي يُضلوا الناس عمداً ... إنهم صدقاً عديمو الأرْيَحية

لكن الأفذاذ من أهل المعالي ... جدّدوا الدينَ ، وما باعوا القضية

بـــل أبـــانوا الحـــق فـــي كـــل صـــعيدٍ بنفـــــوس تعشـــــقُ الحـــــق أبيـــــة

(وابـــنُ إدريـــس) علـــى رأس النشـــامي مَـــن ســـما فـــي النـــاس مثـــل الشـــافعية؟

و(الإمـــــام الشـــــافعيّ) حـــــاز مَجـــــداً إذ لـــــــه علـــــمٌ يُغـــــذي مذهبيـــــة

بـــين أهـــل العلـــم والفقـــهُ تســـامى مُخلصـــاً دينـــاً وسَـــمتاً بعـــد نيّـــة

ناشـــراً - فـــي النـــاس - عِلمـــاً لا يُبـــارَى إن نشـــــر العلـــــم نعـــــمَ العبقريـــــة!

بـــاذلاً - فـــي دعـــوة النـــاس - الغـــوالي برضـــا نفـــس عـــن المـــولى رضـــية

مُفحِمـــــاً خصـــــماً يُنـــــادي بالتـــــدني لـــيس - فـــي الإســـلام - يرضـــى بالدنيـــة

مُوقنـــاً بالنصـــر فـــي ســـاح التحـــدّي فـــي يـــدٍ ســـهمٌ ، وفـــي الأخـــرى هديـــة

صـــامداً فـــي وجـــه مـــن يُغـــري بكيـــدٍ مُســـتميتاً فـــي القضـــايا الجوهريـــة

واثقـــاً أن الهُـــدى لا شـــك يعلـــو رغـــم أنـــف الكيـــد فـــوق العنجهيـــة

فـــإذا بالخصـــم يُبـــدي مـــا يُـــواري عشـــــرة الألغـــــاز كـــــلٌ كالمَنيـــــة

قـــد أعِـــدتْ - كالأحـــاجي - باقتـــدارٍ تُعْجـــــز الأفـــــذاذ أهـــــلَ الألمعيـــــة

فـــــإذا بالفـــــذ يبلـــــو كـــــل لغـــــز بإجابـــــــاتٍ حِســـــــانٍ منطقيـــــــة

ســـائلاً مَـــن سَـــعَّروا البلـــوى ســـؤالاً لـــيس يحتـــاجُ ســـوى بعـــض الرويّـــة

فـــــإذا بـــــالقومُ يُبْـــــدون التـــــأبّي حيـــــث إن العجـــــز خـــــذلٌ وبليـــــة

فـــإذا الفـــذ بمـــا ألقـــى علـــيهم مُنهيـــاً بـــالرد أنكـــي مســـرحية!

رجالٌ ومواقف

(إن مواقف الإمام أحمد بن حنبل مع المتجاوزين لحدود الله وأهل البدع مواقف خالدة ، لا يقوى عليها إلا الرجال الأفذاذ الأبطال. فمن محنة إلى محنة ، ومن ابتلاء إلى ابتلاء ، ومن فتنة إلى فتنة! ويُسأل من قِبل ولده عبد الله: يا أبت متى الراحة؟ فيجيب: في الجنة إن شاء الله. وتاريخه حافل بالمواقف العظيمة. والتي منها ما جاء في كتاب طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين أبي يعلى الفراء أنه قال: (كان الإمام أحمد – رحمه الله – جالساً في المسجد ، فجاءه صاحب له من قبل الخليفة العباسي المتوكل فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلني إليك لتدعو الله لها بالعافية ، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب (قبقاباً) ، وقال: اذهب بهما إلى دار أمير المؤمنين ، واجلس عند رأس الجارية ، وقل للجنّي: يقول لك أحمد: أيهما كان أحب إليك فافعل: أن تخرج من هذه الجارية طاعة لله – تعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أو تصفع بهذا النعل سبعين مرة؟ فذهب الرجل - ومعه النعل - إلى الجارية ، وجلس عند رأسها وقال كما قال الإمام أحمد. فقال المارد الجني على لسان الجارية: السمع والطاعة لأمر أحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق كلها لخرجنا منها ، إنه أطاع الله تبارك وتعالى ، فأطاعه بطاعته لله كل شئ! ثم خرج من الجارية ، فهدأتْ ورزقتْ بعد ذلك أولاداً وعزاً. فلما مات أحمد عاد إليها المارد الخبيث ، فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد ، فحضر بنفسه ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد: اخرجْ وإلا ضربتك بهذا النعل ، فقال المارد: لا أطيعك قط ولا أخرج ، أما أحمد بن حنبل فرجلٌ أطاع الله – عز وجل – فأمرنا بطاعته).هـ. والحقيقة أنني عندما طالعتُ هذه القصة تامة في أكثر من كتاب في القديم والحديث ، تأثرتُ بها جداً ، فكانت هذه الانفعالة التعبيرية الخاطفة عن هذا الموقف وعن رجاله ، وأقول بالمناسبة ومن باب النصيحة لكثير من المرتزقة من حارقي البخور وقارعي الطبول وقارئي الكفوف وضاربي الرمال وموشحي الأوراد البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، من الذين يدعون أنهم يعالجون بالقرآن زوراً وبهتاناً على غير هدى من الله ولا كتاب منير: إن القضية قضية عقيدة وتوحيد في مقامها الأول! ومن هذا المنطلق فإن العلاج بالقرآن يجب أن يكون موافقاً للكتاب والسنة! لقد كان الإمام أحمد عليماً بالأحاديث ، الأمر الذي وفّر له ثروة هائلة في العلم مكّنته من الاستنباط. وقد وسّع باب القياس مما جعل الأحكام أقرب إلى مرامي الشارع ومقاصده المستوحاة من أعمال الرسول وأقواله. وكانت هناك حاجة ماسة إلى أحكامه ، لأنّ العرب تفرّقوا بين الأمصار التي فتحوها وفيها أمم وشعوب مختلفة. وقد قدّم الإمام أحمد الحديث على الرأي والقياس ولو كان ضعيفاً. كما أنه أكمل مشوار الشافعي من ناحية تعظيم دور السنة في البناء الفقهي. وكانت شخصية الإمام أحمد رمزاً للصمود والثبات على الإيمان الراسخ ورفض الأفكار الدخيلة على الإسلام والعقيدة الإسلامية! وقيل انه أسلم يوم مماته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وأنّ جميع الطوائف حزنت عليه ، وأنه كانت له كرامات كثيرة وواضحة. فعن ابنه عبد الله قال: رأيت أبي حرّج على النمل أن يخرج من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجت نملاً أسود ، فلم أرها بعد ذلك. وعن الإمام أبي الفرج الجوزي ، قال: لما وقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبي ، سلم لي مجلد فيه ورقات من خط الإمام أحمد بن حنبل. كانت وقفة الإمام أحمد بن حنبل في وجه الظلم وفي وجه حملة تحريف الدين الإسلامي وفي وجه هرطقة المعتزلة وتخبّطهم في علوم وخفايا الدين وقفة عظيمة. وقد صمد بالرغم من التعذيب والضرب بالسياط والحبس والملاحقة والإغراء. وثبت

بثباته خلق كثيرون في محنة خلق القرآن وغيرها! أما ابن حنبل فقد مات رحمه الله تعالى! وكل من عذبوه ونالوا منه في الدنيا بغير حق ، فقد ماتوا كذلك! وعند الله تعالى تجتمع الخصوم! ودنيانا هذه ليست نهاية المطاف! كلا ، بل هناك بعث وحشر وميزان وحساب وجنة ونار! فليستعد كل مظلوم لعرض مظلمته على الحكم العدل – سبحانه وتعالى -! وليستعد كل ظالم للحساب بالحق!)

يـــا إمـــام الحـــق ، يـــا زيـــن الرجـــالْ ... يـــا عظيمـــاً مـــا لـــه – فينـــا - مثـــالْ

يـــا وجيهـــاً نفـــعَ المـــولى بـــه ... فـــي زمـــان التيـــه ، فـــي دنيـــا الجـــدال

يـــا مَعـــين العلـــم والتقـــوى معـــاً ... يعبـــد الـــرحمن فـــي النـــاس الرجـــال

يـــا رفيـــعَ القـــدر ، يـــا عـــذبَ الصـــدى ... يـــا رطيـــبَ القـــول فينـــا والفعـــال

كنـــت فـــي الـــدنيا ســـراجاً نيّـــراً ... وإلـــى العلـــم لكـــم خضـــت المُحـــال!

لـــم تخـــفْ فـــي الله جبـــاراً طغـــى ... إنمـــا القـــدوة كانـــت فـــي (بـــلال)

كـــم تحملـــت البلايـــا والـــردى ... وتصـــديت لمـــن يرمـــي النبـــال!

ورفعـــت الحـــق يعلـــو فـــي الـــورى ... كـــل حـــق برجـــال وقتـــال

ورجمـــت البدعـــة الرعنـــاء فـــي ... واقـــع القـــوم ، ولـــم تخـــش المـــآل

إنمـــا الـــذكرُ كـــلامُ ربنـــا ... لـــيس مخلوقـــاً ، ولـــو كانـــت نصـــال

خافـــك الكـــل ، ولـــم تخـــش الأذى ... عنـــدما خِفـــت العزيـــز ذا الجـــلال

وأبنـــت الـــدرب درب المصـــطفى ... حِســـبة لله ، لـــم يَغـــرُرْك مـــال

وإذا المـــارد للأمـــر ســـجى ... خلّـــف المـــرأة فـــي أحســـن حـــال

إنهـــا التقـــوى طريـــقٌ ســـالكٌ ... كـــم أبـــادت مـــن همـــوم كالجبـــال!

مَـــن يخـــفْ رب الـــورى لا ينهـــزمْ ... إنمـــا يُهـــزم أصـــحاب الضـــلال

معـــدنُ التقـــوى بهـــيٌ مشـــرقٌ ... واتبـــاعُ النـــور يهـــدي للحـــلال

ولـــذا (أحمـــدُ) سَـــاد العلمـــا ... ولـــه كـــم مـــن مقـــال كالخيـــال!

في رحاب الزاهدين

(إن للزهد في ديننا منزلة عظيمة. وإن المعيشة مع الزاهدين في عالمهم الرحيب ترقق القلوب ، وتحيى الهمم التي قد أماتها الإقبال على الدنيا وزخرفها الذي هو راحل. ألا ما أجمل الزهد عندما يكون من العلماء الربانيين الذين هم مصابيح الدجى وقناديل الظلام! وأحدهم والذي كل الفقهاء عيال عليه ، النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) ، والذي أراهُ في القمة من الزهاد والعلماء والفقهاء. إمامٌ مظلومٌ مُفتَرىً عليه من يوم نبوغه وتصدره للعلم والدرس والفُتيا إلى يوم الناس هذا. ويعتقد كثير من الناس أنه مخالف للقرآن والسنة ، وأنه عمد إلى الرأي على حساب الوحيين القرآن والسنة. إن لأبي حنيفة مقالاتٍ عديدة وتصريحات لا تُعَدُّ في التبرؤ من الرأي إذا كان على حساب النص كتاباً أو سُنة. علم ذلك من علمه ، وجهل ذلك من جهله. كما أن لأبي حنيفة مناقبَ ومآثرَ لا حدود لها. ويطيب لنا هنا أن نبين أن الأئمة الأربعة كانوا ينصون على أن أقوالهم إن خالفت كتاب الله وسُنة رسوله – فهم منها برئاء ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب – عليهما سلام الله -! فهذا هو الإمام أبو حنيفة وغيره من الأئمة في حقيقة أمرهم وسيرتهم قد أخذوا بنصوص الكتاب والسنة بعد دراستها دراسة واعية ، وإن لم يفتوا بها ، وبيان ذلك أن كل الأئمة الأربعة قد نصوا على أنه إن صح حديث ما فهو مذهبهم ، وبه يأخذون ، وبه يفتون ، وإليه يهدون ، وعليه يستندون. قال الإمام أبو حنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي" ، وقال رحمه الله: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه" ، وفي رواية عنه: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي" ، وزاد في رواية أخرى: "فإننا بشر ، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً" ، وقال رحمه الله: "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى ، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي". وقال الإمام مالك رحمه الله: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" ، وقال رحمه الله: "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم". وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعزب عنه - أي تغيب - ، فمهما قلت من قول ، أو أصَّلت من أصل ، فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قولي". وقال الإمام أحمد : "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا" ، وقال رحمه الله: "رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار - أي الأدلة الشرعية ").هـ. قال الأستاذ الفاضل عبد الرحمن دهب في وصف أبي حنيفة النعمان ما نصه: (كان أبو حنيفة كثير العبادة ، لا ينام الليل إلا قليلاً ؛ حتى سموه (الوتد) لكثرة صلاته ، يبكي حتى يسمع جيرانه بكاءه فيشفقون عليه مما هو فيه من خوف ووجل من الله! وأبوه (ثابت) كان تاجرًا غنيًّا أسلم فحسن إسلامه ، قيل: إنه التقى بالإمام على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فدعا له الإمام ولذريته بالخير والبركة ، واستجاب الله الدعاء ، ورزق الله ثابتًا بطفل أسماه النعمان وكناه (أبا حنيفة النعمان بن ثابت) وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الكوفة. نشأ أبو حنيفة في مدينة الكوفة ، فوجد الحلقات العلمية منتشرة في كل مكان ، ورأى طلاب العلم يتعلمون ويجتهدون في الدراسة ؛ فتلقى العلم على يد شيوخ وأساتذة كبار ، منهم: فقيه الكوفة (حماد

بن أبي سليمان) والإمام (جعفر الصادق) و(عطاء) و(الزهري) و(قتادة)... وغيرهم ، وكان(حماد) من أكثر شيوخه الذين يحبهم ؛ فكان أبو حنيفة يحفظ أقواله ويرددها ، وأعجب حماد هو الآخر بتلميذه (أبي حنيفة) حتى قال لمن حوله: لا يجلس في صدر الحلقة بجواري غير أبي حنيفة. وبعد موت حماد تولى ابن له اسمه إسماعيل حلقة الدرس بدلاً من أبيه ، لكنه ترك مجلس الفقه وانتقل إلى النحو لحبه له ، فجاء الناس إلى (أبي حنيفة) يطلبون منه أن يجلس إليهم ويعلمهم أمور دينهم ؛ فقبل أبو حنيفة ، وأخذ يدرس للناس حتى اشتهر فقهه بين البسطاء والأمراء ، لكنه لم ينْسَ فضل شيخه وأستاذه (حماد) بل ظل يذكره بالخير ، ويدعو له حتى قال أبو حنيفة: (ما صليتُ قط إلا ودعوتُ لشيخي (حماد) ولكل من تعلمتُ منه علمًا أو علمته). وكان أبو حنيفة يهتم بملبسه ومظهره ، ويكثر التعطر ، ويُرى وقورًا حليمًا ، فهو الذي يقول: (اللهم من ضاق بنا صدره ، فإن قلوبنا قد اتسعت له) ، ولقد سبه أحد الناس بقوله: يا مبتدع ، يا زنديق ، فردَّ عليه بقوله: غفر الله لك ، الله يعلم مني خلاف ذلك ، وأني ما عدلت به (أي ما أشركت به أحدًا) منذ عرفته ، ولا أرجو إلا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه. وكان أبو حنيفة كريمًا واسع الكرم ، وتاجرًا أمينًا ماهرًا ، ظل يعمل بالتجارة طوال حياته ، وكان له دكان معروف في (الكوفة) كان أبو حنيفة - رضي الله عنه - يحب العمل حتى ينفق على نفسه ، فكان يبيع الخز (وهو نسيج من الصوف). سمع أبو حنيفة رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ؛ فقال: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل ؛ فكان يحيي الليل صلاة وتضرعًا ، فكان ورعًا ، ولا يحدث بالحديث الذي يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ ، وكان يتورع عن القسم خشية الهلاك ، حتى إنه جعل على نفسه إن حلف بالله صادقًا أن يتصدق بدينار. وكان واسع الصدر هادئ الطبع في حديثه مع الناس ، فلقد روي أن رجلاً قال له: اتق الله ، فانتفض ، وطأطأ رأسه ، وأطرق.. وقال له: يا أخي جزاك الله خيرًا ، ما أحوج الناس في كل وقت إلى من يذكرهم الله تعالى. ومات سنة 150هـ ، وصلى عليه خمسون ألف رجل ، ودفن في بغداد ، ويقال إنه مات في نفس الليلة التي ولد فيها الإمام الشافعي. وأبو حنيفة هو مؤسس المذهب الحنفي أحد المذاهب الفقهية الأربعة ، وقد انتشر مذهبه في العراق والهند وبلاد المشرق ، يقول عنه الشافعي: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة) وقال عنه النضر بن شميل: كان الناس نيامًا في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة ، وقيل: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح علمه عليهم ، وقال عنه ابن المبارك: (ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة)! وقال عنه يزيد بن هارون: (ما رأيت أحدًا أحلم من أبي حنيفة).هـ. إن أبا حنيفة مدرسة في الفقه غير مسبوقة ومدرسة في الرأي منقطعة النظير. وهو أيضا مدرسه في الزهد غير مسبوقة. وتعجبني أخباره ، والتي منها هذه اللمحة الخاطفة التي يرويها صاحب وفيات الأعيان ج4/5. بسنده ، والتي تصور لنا زُهْدَ أبي حنيفة النعمان ، ذلك الجهبذ العملاق العبقري ، كما تصور لنا بُعدَ نظره وفراره من موقف السؤال والمؤاخذة على موقفٍ كان بيده الفرار منه! ونعود بالتاريخ إلى الوراء ، عندما أراد أبو جعفر المنصور أن يُولي أبا حنيفة القضاء فأبى أبو حنيفة. فحلف عليه الخليفة ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل. فقال الربيع بن يونس الذي هو حاجب الخليفة: ألا ترى أميرَ المؤمنين يحلف؟ فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدرُ مني على كفارة أيماني ، وأبى أن يُلَبي أمرَ أبي جعفر المنصور. قال الربيع: وإني رأيتُ المنصور يُنازلُ أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول له: اتق الله ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله ، واللهِ ما أنا بمأمون الرضا! فكيف أكون مأمون الغضب؟ والله لو

هددتني أنك تغرقني في الفرات أو ألي الحكم والقضاء لا خترتُ أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون مَن يُكرمهم لك ولا أصلُح لذلك. فقال الخليفة له: كذبتَ يا أبا حنيفة ، بل أنتَ تصلح ، فقال له: قد حكمتَ لي على نفسكَ ، كيف يحل لكَ أن تُولي قاضياً على أمانتك وهو كاذب؟! والحقيقة أنّ هذا الموقف من أبي حنيفة كله حكمة وخوف وزهد ، يَعجز اليراع عن تصوير وصفه ، ولكنني حاولتُ التَّجول في رحاب إمام الزاهدين الفقهاء وتولد مطلع قصيدة ثم اكتملت ولله الحمد!)

(أبـــو حنيفـــةَ) أســـتاذٌ لـــهُ وَرَعُ ... هـو الجَسـورُ ، فـلا يخـافُ مـا جمعُـوا

إرادة مـا لهـا فـي النـاس مـن شَـبَهٍ ... ورائـــدٌ فـــي بيـــان الشَّـــرع يُتَّبَـــع

إمـــامُ أهـــل التُقـــى ، والعلـــمُ طابَعُـــهُ ... والفِكـــرُ منهجـــه ، والعُـــدَّةُ الـــوَرَع

كـم كـان يَمْحُـو الـدجى ، والعـزَّ مِعْولَـهُ ... والعـــزمُ مركبُـــه ، والقلـــبُ مُنـــدَفِع!

وحـــاربَ الجهـــلَ فـــي بيـــدا وحاضـــرةٍ ... إن الجَهـــول ببـــذل العلـــم يَرْتَـــدِع

ولا تـــروجُ علـــى الأيـــام شـــائعةً ... ولـــيس يُرفـــعُ بـــين الخلـــق مبتَـــدِع

إن كـــان بيـــنهمُ عِلـــمُ وداعيـــةً ... يُبـــيِّنُ الحـــق حتـــي تـــذهبَ البِـــدَع

ومـــا ألمَّـــت بقـــوم فتنـــة عظَمـــتْ ... إلا وكـــان لهـــا مِـــن بيـــنهم شِـــيَع

ومَركـــبُ التيـــه لا تجـــري علـــى يَـــبَسٍ ... فبحرُهـا الجهـلُ ، والحمقـى هـم الشُـرُع

هـــمُ المَصـــابيحُ ، والجهـــالُ فـــي ظُلَـــم ... شُـمُّ الأنـوف ، وفـي القـرآن قـد رُفِعُـوا

(أبـــو حنيفـــة) يـــأتي فـــي مُقَدِّمـــةٍ ... ومَـــن تبقـــى فهـــم لفقهـــه تَبَـــع

فِراسَـــةً مِـــن مَعـــين الحـــق مَوْقـــدُها ... وفـــي ترائبهـــا الإحســـانُ مُنطبِـــع

وكـــان فـــي عصـــره منـــارة سَـــطعتْ ... وفوقهـــا رايـــةُ التوحيـــد ترتفِـــع

ولـم يَخـفْ بـأسَ مَـن سـادوا ومَـن حكمـوا ... لأنـــــه بقضـــــاء الله مُقتنِـــــع

مَـــوتُ الفتـــى قَـــدَرٌ قـــد خطـــه مَلِـــكٌ ... فـــــيم التخـــــوف؟ إن الله مُطَلِـــــع

والعمـــرُ والـــرزقُ عنـــد الله خالقنـــا ... فكيـــف يقلـــق مـــن بالـــدين يَـــدَّرِع؟

خَصُّـوا القضـاءَ ، فلـم يقبـلْ عُروضَـهمُ ... وقـــال: لســـتُ لهـــا ، والـــرهطَ مُنْخَـــدِع

فكـــذبوه ، وقـــالوا: أنـــت فارســـهُ ... وأنـــتَ فـــي الفقـــه يـــا أســـتاذنا سَـــبُع

وأنـــت أعلـــمُ أهـــل الأرض قاطبـــة ... وأنـــت بالفقـــه والتوحيـــدِ مُشْـــتَرِع

فقـــال: حيـــث رأى أميـــرُكم كـــذبي ... فلســـتُ أصـــلح يـــا أقوامَنـــا ارتـــدعوا!

هـذا قضـائي علـى نفسـي ، فلسـتُ لهـا! ... لـــو كنـــتُ أصـــلحُ ، كيـــف اليـــوم أمتنـــع؟

أبـــا حنيفـــة يـــا نحريـــرُ ، يـــا قَمَـــرٌ ... يـــا مـــن بمثلـــكَ أمـــرُ الـــدين يَجتمِـــع

أجـــارك الله مِـــن عصـــر يمـــوجُ بنـــا ... لـــو كنـــتَ فينـــا إذن لهالـــك الفَـــزَع

يُتـــاجرُ اليـــومَ بالفُرقـــان مُرتـــزِقٌ! ... وينســـجُ الزيْـــفَ باســـم الحـــق مُنْتَفِـــع

وسُـــنّةَ لأبـــي الزهـــراء قـــد مُحِقَـــتْ ... ودارُنـــــا لـــــذباب الأرض تَتَّسِـــــع

وعـــزةٌ بنِعـــال الجَـــور قـــد وُطِئَـــتُ ... وألسُـــــنٌ بضـــلال القـــول تَنـــدَلِع

وصـــاحبُ الحـــق مجنـــوزٌ بحُرقتِـــهِ ... وصـــاحبُ الـــزور للتصـــديقِ مُصـــطنِع

أمَّـــا الفتـــاوى فقـــد بِيعـــتْ لراغبهـــا ... فـــي ســـوق ذلـــتهم ، كأنهَـــا سِـــلَع

وقـــد تســـوّل باســـم الـــوحي مُنحـــرفٌ ... وألّـــةَ المـــالَ ، أعمـــى قلبَـــهُ الجَشَـــع

وغايـــةَ الوغـــدِ (فـــدّانٌ) بقريتِـــه ... إلـــى زوال ستَمضـــي هـــذه الضِّـــيع

علـــى حســـاب الهُـــدى يحيـــا أراذلُهـــم ... وفـــي العـــزائم هُـــم أرانـــبٌ خُنُـــع

أمـــا أســـاتذةُ العلـــم الشـــريف مضـــوْا ... ويـــرحمُ الله مَـــن لوجهـــه خَشَـــعوا

قـــومٌ أرادوا بهـــذا العلـــم خـــالقَهم ... وعنـــدما جـــاءتِ الـــدنيا ، فمـــا رتَعُـــوا

وأخلصـــوا ديـــنَهم مِـــنْ كـــل شـــائبةٍ ... وعـــن ريـــاءٍ بمـــا دانـــوا بـــه ارتـــدعُوا

وغيـــرُهم لبريـــق المـــال قـــد ســـجدوا ... وللترقـــي لـــدى أوثـــانهم ركَعُـــوا

وللحضـــيضِ بجَـــوف التيـــه قـــد هبطـــوا ... وللأوامـــر مِـــنْ أصـــنامهم خَضَـــعُوا

بـــاعوا الحنيفـــة بالـــدنيا فمـــا ربحـــوا ... ولـــيس يـــدرون مـــا أعطـــوا ومـــا دفعـــوا

وقَيَّمـــوا العلـــم بالـــدينار فـــاحترقوا ... وأفْسِـــدَ النّصـــحُ والتـــذكيرُ والجُمَـــع

يـــا ليـــت شِـــعري ، وقـــد بـــاعوا ضـــمائرهم ... كـــأنهم فـــي حضـــيض الطـــين قـــد صُـــرِعوا

وكــم أضــلوا الــورى عمــداً ليرتزقــوا! قــالوا: نعـيشُ ، وفـي التضـليل قـد وقعـوا

يـــا ويحهـــم لَفَـــحَ التزييـــفُ عـــزمتَم وعربـــد الجهـــل فـــي الألبـــاب والطّمَـــع

لـــم يقنعـــوا ببســـيط العـــيش فـــي رَشَـــدٍ فعـــاش كـــلٌ ، وفـــي أحشـــائه جَشَـــع

إذا رأيـــتَ تَبـــارِيْهم بمـــا ادخـــروا تمـــوتُ حَزنـــا ، ويَكـــوي عِـــزَّكَ الجَـــزَع

تـــراهمُ مِـــن رغيـــد العـــيش قـــد نهلـــوا لـــم يشـــكروا ، إنمـــا الأوجـــاعُ تُختَـــرع

يَشـكون شِـدَّةَ عـيشٍ رغـم مـا حَصَـدوا يَشـكون جُوعـاً ، وهُـم مِـنْ لحمنـا شـبعوا

بـــين الأنـــام لهـــم عِـــزٌ وواجهـــة وإن تشَـــفعَ رهـــطَ مِـــنْهُمُ شَـــفَعُوا

لهـــم دروبُ حيـــاةٍ ، خـــابَ ســـالكُها فبـئسَ مـا أحـدثوا! وبـئس مـا شَـرَعوا!

شَـابُوا علـى بـذل مـاء الوجـه ، مـا عقلـوا تلـــك العمالـــةَ ، مِـــنْ ألبانهـــا رَضَـــعُوا

سَـــحَابةَ هـــذه فـــي دارنـــا جَثَمَـــتْ يـــا ليـــتَ شِـــعرِي إذن متـــى ستنقشِـــع؟

أبَـــا حَنيفـــةَ كفكـــفْ عَبـــرةً هَطَلَـــتْ فقومُنـــا اليـوم كـم عـانوا! وكـم دمعـوا!

واســـعدْ بأنـــك لـــم تـــدركْ مُصـــيبتَنا ولـــم تَعِـــش لتـــرى مـــا قومُنـــا ابتَـــدَعوا

لـــكَ السَّـــلامُ ، ونـــارُ القلـــب مُوقـــدةٌ حُزنـــاً عليـــكَ أيـــا ذا الفَضْـــلِ يَـــا وَرِع

وصَـــلَّ ربِّ علـــى المُختـــارِ أســـوتِنا ويَـــرحَمُ اللهُ مَـــن لهَدِيـــهِ اتَّبَعُـــوا

سلطان العلماء ، لا عالم السلاطين

(أورد السبكي في (الطبقات) صـــ84 ما نصه: (كان لمماليك الأتراك نفوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين ، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم نجم الدين أيوب في مصر ، وكان الشيخ العز بن عبد السلام قاضياً للقضاة فيها ، وقام – رحمة الله عليه – مُصلحاً لأمر القضاء منفذاً بحزم أحكام الشرع ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، فنظر في حقيقة قضية أولئك الأمراء التي أثارها هو ثم أصدر قضاءه الآتي: قال السبكي: ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك وهم جماعة ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك ، فعظم الخطبُ فيه واحتدم الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً ، وتعطلت مصالحهم بذلك ، وكان من جملتهم نائب السلطنة فاشتاط غضباً ، واجتمعوا ، وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلساً ، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي ، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه ، فلم يرجع فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة ، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله هذا الأمر ، وأنه لا يتعلق به. فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار ، وأركب عائلته على حمير أخرى ، ومشى خلفهم من القاهرة قاصداً الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبى ولا رجل لا يؤبه له يتخلف ، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم فبلغ السلطان الخبر ، وقيل له متى راح ذهب ملكك قبله ، فرجع واتفقوا معه على أن ينادي على الأمراء فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب. فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعة ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب ، فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه ، وشرح له الحال ، فما اكتثرت لذلك ولا تغير. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب ، وسقط السيف منها وارتعدت مفاصله ، فبكى وسأله أن يدعو له. وقال: يا سيدي ، خيراً ، أي شيء تريد أن تعمل؟ قال: أنادي عليكم ، وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا. قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. فتم له على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير. وهذا لم يسمع لأحد قبله رحمه الله. وفي هذا ما يدل على أن العز بن عبد السلام كان فعلاً سلطان العلماء ولم يكُ يوماً عالم السلاطين).هـ. إن الفرق كبير جداً بين أن يكون العالم سلطاناً للعلماء وأن يكون عالماً للسلاطين! إن علماء السلاطين كثيرون اليوم وأمس وغداً ، من الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ، ومن الذين يرتزقون بدين الله عز وجل وبكتابه وبسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - ، من الذين يطوّعون الدين ويلوون نصوصه من أجل عرض من الدنيا زهيد قليل حقير يرميه لهم الطواغيت كما نرمي العظم للكلاب ، من الذين - بعمالتهم وتخريفهم الذي لا حدود له وتحريفهم للنصوص وخوضهم في دين الله - يُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت في الأرض ، من الذين إن تكلموا فالكلام الذي يريده أسيادهم وإن يسكتوا فالسكوت الذي يريده أسيادهم ، من الذين لا يُمثلون أبداً اتجاهاً للكِتاب ولا للسنة ، من الذين هم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أشد فتكاً من قلوب الذئاب ، من الذين يذكّروننا في حركاتهم وسكناتهم بمسرح العرائس التي تشد بالخيوط لتتحرك يمنة ويسرة فهم العرائس والعطاءات الخيوط ، وأما الذين يشدون الخيوط حسب أهوائهم فالطواغيت والظالمون ، من

الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ليصدوا عن سبيل الله ، من الذين هم أتباع كل ناعق فهم إمعات ومقلدون ، من الجوقة المرتزقة حارقي البخور وقارعي الطبول وضاربي الودع وقارئي الكف من الذين يفسدون في الأرض بتقرير الجاهلية والجاهليين ، ولا يصلحون بعدم انتصارهم للحق ولا الدعوة إليه ولا الجهاد في سبيله ، من الذين قدوتهم وأسوتهم بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل الذي انسلخ من نصوص التوراة والإنجيل الصحيحة وكان من الغاوين! ولكن العلماء الربانيين يختلفون كل الاختلاف ، فهؤلاء لا يخافون في الله لومة لائم ، يبلغون عن الله رسالته ويدعون الناس إلى الحق المبين مهما كلفهم ذلك من ثمن ، من الذين هم الغصص في حلوق الطواغيت ، من الذين لا تؤثر فيهم الإغراءات ولا التهديدات ، من الذين إن تكلموا فبمنطق الحق المبين في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، وإن سكتوا فلدرء فتنة أو لاتقاء شبهة أو لتحقيق مصلحة راجحة لا بأمر أحد بل بفقه وعلم واقتناع وحجة ، من الذين يُصلحون في الأرض ببيان الحق للناس ولا يُفسدون بتطويع الدين للطواغيت ، من الذين يجاهدون في سبيل الله بكل أنواع الجهاد ، من الذين قدوتهم وأسوتهم مؤمن آل يسن عندما قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين) ومؤمن آل فرعون عندما قام فيهم داعياً وناصحاً ومحذراً. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يكونُ أمراءُ تَغْشاهُم غَوَاشٍ أوْ حَوَاشٍ من النَّاسِ ، يَكذِبُونَ ويَظلِمُونَ ، فمَنْ دخل عليهِم فصَدَّقَهم بِكذِبِهم ، أعَانَهم على ظُلمِهم ؛ فلَيسَ مِنِّي ، ولَسْتُ مِنْهُ ، ومَنْ لَم يَدخُلْ عليهِم ، ولَمْ يُصَدِّقْهُم بِكذِبِهم ، ولمْ يُعِنْهم على ظُلمِهم ؛ فَهُو مِنِّي ، وأنا مِنْهُ) صححه الهيثمي وابن حبان وابن حجر وقال عنه الألباني حسن لغيره. وعن رجل من بني سُليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم وأبوابُ السلطانِ ، فإنه قد أَصبَحَ صَعباً هبوطاً) قال الألباني صحيح ومعناه: أن من لازم السلطان صار مذلولاً له لا يسلم من النفاق. وعن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيكونُ أمراءٌ تعرِفونَ وتُنكِرونَ ، فمَنْ نابَذَهمْ نَجَا ، ومَنْ اعتزَلَهم سلَّمَ ، ومَنْ خالَطَهم هَلَكَ) صححه الألباني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من بدا جفا ، ومن تبِع الصيدَ غفَل ، ومن أتى أبوابَ السلطانِ افتُتِنَ ، وما ازداد عبدٌ من السلطانِ قُربًا ؛ إلا ازداد من اللهِ بُعدًا) قال الألباني حسن صحيح. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سكن البادية جَفا ، ومن اتَّبعَ الصَّيدَ غفَل ، ومن أتى السلطانَ افتُتِنَ). أخرجه ابن داود والترمذي والبيهقي وصححه الألباني. وروى كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنه سيكون بعدي أمراءُ فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبِهم وأعانهم على ظُلمهم فليس مني ولستُ منه وليس بواردٍ عليَّ الحوضَ ومن لم يدخلْ عليهم ولم يعنْهم على ظلمِهم ولم يصدِّقْهم بكذبهم فهو مني وأنا منه ، وهو واردٌ عليَّ الحوضَ) صححه الترمذي وابن حجر وابن حبان. ومن هنا كان الفرق بينهم وبين العملاء الخونة المرتزقة المتاجرين بالدين كالفرق بين السماء والأرض. والعز بن عبد السلام أحد هؤلاء العلماء الربانيين الموحدين ، ولا نزكيه على الله.)

سلطانُ مَن ملكوا دُوراً وأوطانا ... تُبقي وتَخلعُ ، ترجو الحُر سلطانا

وتجعلُ العِتق شرطاً في ولايتهم ... وتعلنُ الأمرَ - بين الناس - إعلانا

وتستهينُ بما حازوا وما جمعوا ... بل زادَك الزجرُ والتهديدُ إيمانا

وتصْـدِرُ الحكـمَ فتـوى فـي الـبلاد سـرتْ ... ونـاوأتْ - فـي القصـور - الشـمّ عُبـدانا

وللمماليـك - فـي الأمصـار - سـلطنة ... وإن مِـن خلفهـم جنـداً وأعوانـا

وهـم أسـاطينُ - فـي الهيجـاء - تحسـبُهم ... إن أثخنـوا - فـي القنـا - أسْـداً وعُقبانـا

خاضـوا الحـروب ، وفـي آفاقهـا ركضـوا ... والنصـرُ كـان لهـم - فـي البـأس - برهانـا

وتشـهدُ الـدارُ والتـاريخ أن لهـم ... رُشـداً ورأيـاً وتفكيـراً ورُجْحانـا

ولكـنِ (العِـز) لـم يعبـأ بصَـولتهم ... فقيـل: يـا عِـز سـاد الحـالُ أزمانـا

وأصـبحتْ - للعبيـد - اليـوم شـوكتهم ... فانصِـبْ لقولـك قسطاسـاً وميزانـا

نخشـى عليـك قـراراً ظالمـاً عَجِـلاً ... بـه تفـارقُ أحبابـاً وأوطانـا

نخشـى عليـك سـيوفَ القـوم مُشـهرة ... تقطـرُ الثـأرَ أحقـاداً وأضـغانا

نخشـى عليـك عيونـاً لسـت تبصـرُهم ... يُخـاتلون الـورى ظلمـاً وعـدوانا

نخشـى عليـك سِـهاماً خـاب حاملهـا ... وإن رُمِيـت بهـا أشـمَتّ مَـن خانـا

نخشـى عليـك عميـلاً عـاش مرتزقـاً ... يُوشـي ليغـريْ بأهـل الخيـر طغيانـا

و(العـز) لـم ينتصـتْ حِينـاً لمَـا ذكَـروا ... لأنـه جعـل الإصـرارَ فرقانـا

وجـاءتِ الجُنـد والظلمـاء تسـترُهم ... وأمعنـوا - فـي الأذى والمكـر - إمعانـا

وأضـمروا قتلـه بسـيف قائـدهم ... ومـا اسـتطاعوا لمَـا أمـلاه عِصـيانا

والكـل جـاء لـدار (العـز) مُمْتشـقاً ... سـيفاً يُجامـل أهـواءً وبُهتانـا

وأوسـعوا البـاب قرعـاً ، بعضُـه فـزعٌ ... حتـى أصـمّوا - لهـول القـرع - آذانـا

فقـام (الابـنُ) لهـم بغيـر مَجبنـةٍ ... فقـد غـدا وأبـوه (العِـز) صِـنوانا

حتـى إذا وجـد الأسـيافَ لامعـة ... والمـوتَ ينسـجُ للمِغـوار أكفانـا

تقـدّم (العـز) مُعتـزاً بخالقـه ... وقـال: مرحـى بأهـل الحُكـم ضِـيفانا

وقـال الابـن: أبـي دعنـي لهـم ثمنـاً ... واذهـبْ ، وخـل الفتـى - للـبطش - قربانـا

هـم قـاتِلوك ، فكـن مـنهم علـى حـذر ... إنـي أراهـم - ورب النـاس - ذؤبانـا

فقـــاطعَ (العـــز) فـــي عِـــز وفـــي رَشَـــدٍ حتـــى يزيـــدَ مَنـــاط الحكـــم تِبيانـــا

أبـــوك أهـــونُ عنـــد الله يـــا ولـــدي مِـــن أن يكـــون شـــهيداً حتفـــه حانـــا

فـــإذ (بأيبـــكَ) يُلقـــي ســـيفه جزعـــاً ويســـألُ الشـــيخ - وســـط الجنـــدِ - غفرانـــا

فـــأطرقوا ، ودمـــوع العـــين ســـاجمة حتـــى نســـوْا مـــا انتـــوَوْا - فـــي التـــو - نســـيانا

وأقبلـــوا يســـألون (العـــز) أســـئلة عـــن بـــيعهم والـــذي يحـــوز أثمانـــا

فأوضـــح (العـــز) مـــا ســـاقوه مِـــن شُـــبَهٍ وراح يتلـــو - علـــى الأضـــياف - قرآنـــا

وســـاق مِـــن سُـــنة العـــدنان حُجتـــه فـــأيقن الجمـــعُ - بالأحكـــام - إيقانـــا

وبـــاعهم فـــي مـــزادٍ بيـــعَ مـــالكِهم بـــأنفس المـــال ، لـــيس الأمـــرُ مَجّانـــا

إذ لا يبيـــعُ عبيـــداً هـــانَ ســـؤدَدُهم بـــل كـــل عبـــدٌ بنـــى - فـــي الـــدار - ديوانـــا

ومـــا ارتضـــى الـــنقص فـــي أســـعارهم أبـــداً وكيـــف يرضـــى - لبيـــت المـــال - خســـرانا؟

حتـــى إذا بـــاعهم ، صـــحّتْ وَلايـــتهم وأصـــبحوا ســـادة فيهـــا وأعيانـــا

وجاهـــدوا - فـــي ســـبيل الله - مَـــن كفـــروا وأحســـنوا - لعبـــاد الله - إحســـانا

وبالحـــديث وآي الـــذكر قـــد علمـــوا ولـــم يخـــرّوا - علـــى الآيـــات - عُميانـــا

(والعـــز) آزرهـــم فـــي خيـــر مـــا قصـــدوا وعـــاش كـــلٌ - علـــى الإســـلام - معوانـــا

ســـلطانُ قـــادتِهم ، ولـــيس مرتزقـــاً يرجـــو - علـــى العِلـــم - أمـــوالاً وأطيانـــا

سلطان المجنوني

(الكتابة عن القصاص المحترم المشهور سلطان المجنوني ، معلم اللغة العربية المعروف تعتبر شرفاً لمن كتب! ولا أريد هنا أن أطري كثيراً ، فالأستاذ سلطان المجنوني يكره الإطراء! ولكن موقع الرجل معروف وقناته القصصية غنية عن التعريف! ولقد كان إعجابي بأسلوبه القصصي مبكراً! حيث استمعت لمئات القصص يحكيها بكل سجية طيبة وكلمات عذبة! ومن هنا كانت هذه القصيدة تعبيراً عن مدى حبي واحترامي له! والقصة كفن من فنون الأدب لها خصائصها ومميزاتها وأدواتها في القديم والحديث! ولقد وردت في كتاب الله وتكاد تمثل ثلث القرآن الكريم! ووردت كذلك في كثير من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم -! ووردت في أشعار العرب ومُكاتباتهم ورسائلهم! وديوان القصة العربية يحوي الكثير من القصص والأخبار والآثار والأمثال! هذا ، وذكر الأستاذ عمر بني مصطفى في معرض مقاله عن القصة في القرآن الكريم ما نصه: (ذكر صاحب كتاب المصباح المنير قال: قصصتُ الخبرَ قصّاً: قال: حدثت به على وجهه ، والاسم القصص ، وقد جاء في كتاب الله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ) ، (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَة لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شيء وَهدى وَرَحْمة لِّقَوم يُؤْمِنُونَ). والقصة: هو الأمر والشأن والخبر ، كما جاء في المصباح: والقصة: الشأن والأمر ، تقول: ما قصتك؟ تعني: ما شأنك؟ ، وجاء في القاموس المحيط: وكلمة القِصة بكسر القاف – هو الأمر الذي يكتب ، وعلى ما ذكرنا: فما جاء من أخبار قصها الله علينا من كتاب الله تعالى يُطلق عليها لفظ القصّة. والقصَّة في كتاب الله تعالى لا تقارن بتلك القصص الطليقة الحرّة من نفوس البشر ، يكون لها أهداف خاصة ، وبعدها لا تبالي أن تستمد ما تحويه من خيال غير صادق ، أو أن تقوم بعرض حوادث لم تقع ، أو ربما تدور حول بطل غير موجود في الأصل ، أو ربما تخرج من الجد إلى واقع هزلي ، أو تضع الباطل إلى جانب الحق ، ويكون جُل اهتمامها أن تقوم بإظهار البراعة البيانية للمؤلف ، فالقصّة في كتاب الله تعالى حقيقة تاريخية ثابتة ، تُصاغ في صورة بديعة من الألفاظ والكلمات المنتقاة والأساليب الرائعة ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، ولا يمكن التشكيك بها وذلك أنَّ جميع الأدلة القاطعة قامت على شيء واحد وهو - أنَّ كتاب الله تعالى كلام الله المنزل ، وأنَّ سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه قد بلَّغ ما أنزله الله إليه ، وإذا عرفنا ذلك فكل ما جاء في كتاب الله تعالى من خبر فهو صادق ، وإذا علمنا صدقه فلا بدَّ من مطابقته للواقع. والقرآن هو حُجَّة الله على جميع خلقه جملةً ، وتفصيلاً ، خاصاً وعاماً ، وإطلاقاً ، وهذا يأبى أن يُحكى فيه ما ليس بحق ، فمثلاً يتم التنبيه عليه ، فكل ما جاء به على جهة الإخبار فهو حقٌّ موافقٌ للواقع. وكل ما جاء في كتاب الله من قصص ، فهو من كلام ربِّ العالمين ، قد أوحى الله به إلى سيدنا محمد ليكون مأخذاً للعبرة ، أو موضعاً للقدوة ، وما كان كذلك إلّا حقاً من صميم الواقع ، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَة لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شيء وَهدى وَرَحْمة لِّقَوم يُؤْمِنُونَ).هـ. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا كانت المصداقية المطلقة للقصة القرآنية وللقصة النبوية المصداقية المطلقة والتسليم غير المشروط؟ والجواب: لأن القرآن بأكمله (والقصة جزءٌ منه) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والكذب والإفك والتزييف والتزوير جزءٌ من الباطل)! لأنه بذلك الاعتبار تنزيلٌ من حكيم حميد سبحانه وتعالى وعز وجل! وبمقدار قرب القاصّ أو الكاتب من القرآن والسنة كانت المصداقية في قصصه وكان الصدق سمتاً عاماً في كل ما يكتبه! وبمقدار ما يبتعد

عن الكتاب والسنة كتب السخافات والحماقات والسخريات والاستهزاءات والركاكات ، ناهيك عن المضامين الهزيلة والسياقات المجافية للقيم وللأخلاق التي يزخر بها نتاجه القصصي والأدبي! هذا ، وكتب الأستاذ مجد خضر عن خصائص القصة ما نصه متحدثاً عن خصائص القصة: (توجد مجموعة من الخصائص التي يتميز بها نص القصة عن النصوص الأدبية الأخرى ، ومنها الوحدة: وهي أن القصة يجب أن تشتمل على فكرة رئيسية واحدة ، بمعنى أنها تعتمد على مبنىً واحدٍ لا يتغير ، فإذا كانت قصة اجتماعية فإنها يجب أن تتحدث عن الأفكار الاجتماعية ، وإذا كانت قصة بوليسية فيجب أن ترتبط أحداثها بوقائع حركية ، وهكذا لكافة أنواع الأفكار الأخرى ، كما أن مفهوم الوحدة يرتبط بوجود شخصية رئيسية واحدة ، وهدف واحد ، أي إنّه من الواجب على الكاتب أن يوجه قصته في اتجاهٍ واحدٍ ، وثابت. التكثيف هو أن القصة يجب أن تتوجه نحوَ هدف معينٍ ، وثابت مع الالتزام بالتنوع في الجُمل القصيرة التي تخدم النص ، وتوضح الهدف الرئيسي من كتابتهِ ، فكلما كانت الدلالات اللغوية داخل نص القصة تحتوي على كافة العوامل المؤثرة في القارئ ، تمكن الكاتب من النجاح في كتابة القصة القصيرة بأسلوب صحيح ، وممتاز. والحقيقة أن الدراما تعتبر من أهم خصائص القصة ، والتي تساهم في وجود حركة فيها ، وتفاعل بين شخصياتها ، وأحداثها التي تساهم في توصيل الهدف ، والوحدة للقارئ ، وتجعله يندمج ويتأثر مع أحداث القصة ، مما يؤدي إلى تعزيز الخيال عنده من أجل التفاعل مع موضوع القصة بشكل كامل ، مع المحافظة على لفت انتباهه لأسلوب القاص ، والذي يساهم في نجاح ، أو فشل العمل القصصي).هـ. وهذا يتعلمه القاص من مطالعته ودراسته لما كتب الآخرون عبر التاريخ! ولا يجب أن ينصبّ اجتهاده في الاطلاع والدراسة على القصة العربية في عصر من العصور! بل ينطلق في الدراسة والمطالعة في الآداب العالمية بما فيها الأدب العربي ، وذلك عبر العصور كلها! وكتب الأستاذ مصعب الحسن تعريفاً دقيقاً للقصة القصيرة نأخذ منه بتصرف: (وأما القصة القصيرة في الاصطلاح فهي إحدى أشكال القصة ، وهي مشهورة ببنائها المُحكم ، ونهايتها المحددة ، كما أنّ لها عدة عناصر لا تعد القصة مُكتملة دون وجودها ، منها عناصر بديهية ظاهرة لا يمكن سرد أي قصة دونها ؛ كالشخصيات والمكان والزمان ، أما العناصر التي تُكسِب القصة وزنها فهي العقدة ، أو المشكلة التي تعرضها القصة ، وهي تحديدًا منطقة عنق الزجاجة من المشكلة ، إضافة للحل أو النهاية التي إما أن تكون محددة وواضحة ، وإما أن تكون مفتوحة متروكة لمُخيّلة القارئ. القصة القصيرة في الأدب العربي إنّ القصة القصيرة ـ وإن كانت معروفة عند العرب منذ القدم بمعناها العام ـ إلا أنّها نشأت أول الأمر عند الغرب ، وأخذها العرب تأثرًا بهم ؛ لذلك فهي تعدّ فنًّا أدبيًّا حديثًا في الأدب العربي ، وقد أخذ فنّ القصة القصيرة في الأدب العربي في التطور والتشكّل حتى اتخذ ملامح محددة واتسم بسمات ميزته عن غيره من الفنون الأدبية. دخلت القصة القصيرة بمفهومها الحديث إلى الأدب العربي في نهايات القرن التاسع عشر ، وكان ذلك تأثّرًا كاملاً بالقصة الغربية ، ومع أنّها ظهرت في وقتٍ متأخر إلا أنها لا تعد شيئًا غريبًا عن العرب ، فقد كانت عندهم قاعدة متينة للقصة ظهرت بمسميات أخرى ، ولكنها لم تكن محددة كما هي الآن. وتميّزت القصة القصيرة بوضوحها وصراحتها ؛ إذ تكاد تخلو من التملّق الذي يزخر به الشعر ، ومن الأساطير التي ترتكز عليها المقامات ، إذ وُلد فن القصة القصيرة من رحم الألم والمعاناة ، فكان هدفه الأساسي عكس صورة الواقع ، ومحاولة محاكاة الأحداث الواقعية من خلال قالب قصصي للتعبير عن الشعور والأفكار تجاه تلك الأحداث ، مع إعمال

العقل لإيجاد أفضل خيار متاح وسط الأحداث المطروحة. ولقد اتسع فن القصة القصيرة ليشمل العديد من المقاصد والأهداف ؛ بدءًا من إيصال العبرة والعظة ، ومُرورًا بالتسلية وانتهاءً بانتقاد الحياة السياسية بطريقة مُبطنة ، وربما كان هذا أكثر ما يميز فن القصة القصيرة ، إذ يُتيح إيصال أي فكرة دون خلق تحفظات أو حتى دون الاضطرار إلى توضيح المقصد جليًّا. ولنا في سلسلة قصص (كليلة ودمنة) خير مثال على ذلك ؛ فهي قصص هندية الأصل ، كتبها الفيلسوف بيدبا ، وقد ترجمها إلى العربية عبد الله بن المقفع ، وهي مكتوبة على لسان الحيوانات ، وقد كتبها بيدبا ليوصل رسائل خفية إلى ملك الهند آنذاك).هـ. ومن هذا المنطلق كان للرمزية النصيب الأكبر في بعض القصص ، وذلك عندما يعجز الكاتب أن يصرّح بأمر ما ، فإنه يختار شخصيات غير حقيقية ولا علاقة لها بالقصة يقول على ألسنتها ما يريد ، وبهذا يوصّل للقارئ المضامين التي يحب! ولم يكن هذا مقتصراً على القصة كفن من فنون الأدب! بل أخذت الرمزية طريقها إلى الشعر ، فكانت قصائد هنا وهناك تنشد على ألسنة الحيوانات! وأيضاً كتبتْ الأستاذة إيناس خالد عبد العظيم وتحت عنوان: (القصة القصيرة في الأدب العربي) ما نصه بتصرف زهيد: (إنه لا بد في القصة من توافر عنصر الحبكة الفنية ، أو ما يطلق عليه العقدة ، ما يجعل العمل الفني يدور حول البحث عن حل للأزمة ، التي حلت على الأحداث ، ثمة قصص منتهية ، معروفة النهاية ، وأخرى مفتوحة ، ينسج القارئ نهايتها وفقما يتراءى إليه ، ووفق ما يتمنى طيلة أحداث القصة ، ولا سيما حلول ذروة الأحداث ، إلا أنها قد قد يروق إليك ، ولكن لا تروق إلى الكثيرين ، ممن يرغبون في تكامل العمل الفني. ولقد تطورت أنواع القصة في الأدب العربي على مر الأزمان. وعموماً لكل لون من ألوان الأدب ما يميزه عن غيره من ألوان ، وتتسم القصة القصيرة ببعض الخصائص الجوهرية المميزة ، فمثلاً تتسم بالإيجاز ، والدخول في المضامين بشكلٍ مباشر ، وتترك أثرًا متركزًا حول موضوع بعينه ، دون التطرق إلى تفاصيل متشعبة ، لا فائدة منها أبداً سوى الاستطراد ، وهي محدودية الأحداث ، والأشخاص ، ومعروفة بانتهاء الأحداث بمجرد زوال العقدة ، وتتسم بالسهولة ، والمباشرة والدقة في سرد الأحداث! وتتسم بتوصيل المراد من الفكرة في غضون وقت زمني قياسي. هذا ، وتتنوع عناصر القصة القصيرة ، في إطار إبداع العمل القصصي ، المبني على سرد مجموعة من الأحداث ، من خلال مجموعة من الشخصيات ، الذين يحملون على كاهلهم إنجاز العمل الأدبي ، على نحوٍ ممتع ، لكل من يهم بالاطلاع عليه ، وأحداث القصة أساس فن القصة القصيرة الأولي ، وهو الداعي لقيام العمل الفني ككل ، فمن دون الأحداث ، لا قيمة لأي مكون آخر من مكونات القصة. وتمثل الشخصيات في القصة أو الرواية مركزاً مرموقاً فيها: حيث إنهم القائمون حقيقة بتجسيد أحداث العمل القصصي ، وتنقسم الشخصيات بدورها عموماً إلى قسمين أساسيين ، "الشخصية الواقعية" التي يتجلى ظهورها بصورة حقيقية ، بالإضافة إلى "الشخصية الثانوية" وهي بمثابة شخصيات تدور حولها بعض الأحداث ، أو يتم التحدث عنهم ، دون وجودهم بشكل مباشر في إطار العمل القصصي. ومكان الأحداث مهم أيضاً: وهو المكان ، أو البيئة ، التي تدور على أرضها أحداث العمل الأدبي ، وثمة قصص تقتصر على مكان واحد بعينه ، لا تتخطى حاجزه ، وقصص أخرى تتفاوت في الأمكنة حيال العمل الفني الواحد. وزمان الأحداث له أهميته: وهو بمثابة التوقيت الزمني ، والتأريخي ، للأحداث القائمة. ثم يأتي دور الحبك القصصي: حيث تمثل الحبكة ذروة الأحداث ، التي تستوعب أزمة ، أو عقدة يتغير من جرائها مسار الأحداث ؛ تنقيبًا عن حل جذري لها ، والمَقصد من وراء هذا العنصر

القصصي هو إثارة عنصر الجذب ، والتشويق ؛ لاستكمال القصة بشغفٍ. ويأتي دور حل العقدة: فعلى الأغلب تكون في نهايات أحداث القصة ، وتأتي بالفرج لتلك العقدة ، التي تخللت الأحداث ، وهي عنصر ثانوي ، قد يتركه الكاتب للقراء ، ينسجون خاتمته ، وفقما يرغبون. ولقد قلنا بأن الحبكة بمثابة الأزمة ، أو المشكلة ، التي تطرأ على أحداث الموضوع ، وتغير مسارها رأسًا على عقب ، ما يكثف الأحداث المحورية المتمركزة حول الكشف عن حل لتلك الأزمة ، وتجدر الإشارة إلى تنوع الحبكة في فن القصة القصيرة لتشمل العقدة المقلوبة أو المنعكسة: وهي عبارة عن الأزمة ، التي تعتمد على تدرج البطل إلى تحقيق ما هو زائف من الأعمال ، والنجاحات المختلفة ، حتى الوصول إلى القمة ، ومن ثم السقوط دفعة واحدة بفضل فك عقدة خيط من كوارثه ، التي تكشف عن شخصيته الحقيقية! والعقدة المتوازنة ، أو الاعتيادية ، أو المتوازية: تعد بمثابة الأزمات التقليدية ، التي تنشب مع سريان أحداث فن القصة القصيرة الملهمة ، ومن ثم ، تبدأ انعقاداتها في الانفراج شيئًا فشيئًا ، حتى الوصول إلى تمام الحل ، في نهاية الأحداث القصصية العقدة الناجحة ، أو المثالية: هي التي تؤول إلى النجاح ، والنهايات المحمود ، المحببة إلى النفوس ، على الرغم من مدى ما عرقل طريق البطل من تحدياتٍ عصيبة ، تمكن من مواجهتها بالضرورة ، وحقق مراده في الأخير! وعقدة التدرج الهابط: ويعتمد خلالها الكاتب على تعريض البطل في القصة إلى العديد من الإخفاقات ، والتحديات التي تحط من كيانه ، وطموحاته ، دون تغير للأفضل ، إلى نهاية القصة! وعقدة التدرج الصاعد: يعتمد خلالها الكاتب على تدرج البطل في سلسلة النجاحات الحافلة ، التي تصل إلى أسماها في نهاية أحداث القصة. وعليه ، فإن القصة القصيرة من أبرز ألوان الأدب النثري العربي المعروف الذي يعتمد على سرد الأحداث ، بشكلٍ مباشر ، دون الخوض في العديد من التفاصيل ، التي تطول من دون داعٍ ، وبالتالي ، فإن فن القصة القصيرة من أرقى فنون الأدب التي يعمد إليها الكثيرون من المهتمين بالأدب العربي الأصيل ، المتفرد من نوعه).هـ. ولما كان للقصة القصيرة هذه الأهمية حظيت بالنصيب الأكبر من جماهير القراء! ليس هذا فقط بل كان نصيبها في الترويج لما تحتويه من أفكار أشمل وأوسع من الشعر ومن الروايات الطويلة! ألا وإن سرد الأحداث بأسلوب قصصي في قالب درامي ليس مسألة يسيرة ، بل يتطلب مهارات كثيرة من القاص! والخبرة التي يتمتع بها القاص تساعده كثيراً في إخراج قصة ناجحة مؤثرة هادفة! وتحت عنوان: (جذور القصة في الأدب العربي) قال الدكتور فاضل والي: (لقد استحوذت القصة على فكر كثير من الأدباء والمفكرين ، وأدلى كل واحد بدلوه فيما يتعلق بها ، ودار حولها حديث كثير ، وكانت القضية التي اشتد فيها الجدل هي قضية وجود القصة في أدبنا العربي وعدم وجودها. وكان السؤال المطروح على موائد البحث دائماً: أهي موجودة في أدبنا العربي قبل ظهور القصة في أوروبا ، ثم انتقالها بقوانينها إلى الأدب العربي الحديث؟ أم غير موجودة؟ وهذا هو محور حديثنا. إن القصة فن من فنون الأدب الجليلة ، بقصد ترويح النفس باللهو المباح ، وتثقيف العقل بالحكمة وهذا الفن من الفنون التي احتلت مكاناً ، مرموقاً في النفوس ، للمتعة التي يحس بها القارئ ، ويتذوقها السامع ، باختلاف العصور ، وتنوع الأعمال ، وتباين البيئات ، كما أنه يعد شكلاً من أشكال التعبير ، وسيلته النثر ، ويعتبر من أعرق ألوان الأدب تاريخاً ووجوداً ، لأن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس ، إذ يستطيع كل إنسان أن يحكي لك حادثة مرت له ، أو موقفاً تعرض له ، ومعنى هذا أن القصة ولدت مع الإنسان ، طالما أن الحكاية – وهي العنصر الأساسي في القصة ـ قاسم

مشترك بين الناس ، فلا زال الطفل يميل لسماع حكايات جدته ، ولا زال الناس يتبادلون الحكايات في مجالسهم للسمر والسهر والترويح عن النفس. وعلى هذا نرى أن فن القصة يعتبر من أقرب الفنون الأدبية إلى النفس البشرية ، لأنه فن يستقي مادته من الحياة اليومية الجارية بحلوها ومُرها ، وينقل التجارب والخبرات والدروس من واقع تلك الحياة ، ويحيل ما يستقيه وما ينقله إلى أشياء ثابتة نسبياً ، في صورة تتميز بروح الشمول أو التأثير القوي ، وذلك عن طريق العرض الجيد ، من خلال الأسلوب المحكم النسج الذي تترابط لحمه بسداه ، وتتماسك العلاقات بين كلماته وجمله وتعبيراته ، والذي يعطي دلالات جيدة مؤثرة. وليس هذا الأمر بالمستغرب ، فالقصص يحكي لحياة الإنسان على هذه الأرض ، فلقد كان القصص هو الأدب ، والعلم ، والثقافة العامة لما تحويه كل قصة من معارف شتى بالخلق ، والتاريخ الإنساني ، والأديان ، والطبيعة ، والعادات ، والتقاليد ، فما شيء في التاريخ إلا وله قصة. والقصص مظهر حضاري تقاس به الأمم والشعوب ، وما دام الأمر كذلك فإنه يندر أن تجد شعباً من الشعوب ، أو أمة من الأمم لا يوجد لديها تراث قصصي تحفل به. والقص والقصة. بمعنى أن الخبر يقتطع من سياق الحديث اقتطاعاً ، كما يقتطع من سياق الأحداث المتصلة في الحياة المحيطة لأهميته وطرافته لكل من المتحدث والقارئ والسامع ، المحاور الرئيسية الثلاثة التي يدور حولها المعنى وهي (القطع ، والخبر ، وتتبع الأثر) هي الأساس في فن القصة ، حيث تقوم على القطع أصلاً أي: اختيار الحدث ، أو الأحداث الصالحة وفصلها عن سياق الأحداث الحياتية الأخرى ، ثم يتتبع القاص أثر هذا الحدث ويستقصيه ، ويحاول الإلمام بكل تفاصيله لإمكانية تصويره ، ثم الإخبار والإبلاغ به ، بمعنى نقله إلى المتلقي قارئاً كان أو سامعاً. ومن الناحية الاصطلاحية ، فالمفهوم الفني الأدبي لفن القصة في أبسط صورة وبعيداً عن المصطلحات المعقدة فيلخص في قولنا: إن القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تقع في الحياة اليومية للمجتمع مرتبطة ومنظمة على وجه خاص ، وفي إطار خاص ، بحيث تمثل بعض جوانب الحياة وتجلوها في شتى وجوهها ، بغرض الوصول من خلال الوعي الكامل بالأحداث ، والظروف الاجتماعية إلى الحقائق الإنسانية ، مع عدم إغفال الحرص التام على جانب التسلية والاتباع ، وجانب التثقيف والتهذيب. والقصة بهذين المفهومين: اللغوي والاصطلاحي يقوم بنيانها ، وتشكيل هيئتها على عدة عناصر رئيسة لا يمكن إغفالها وهي أولاً: الحدث أو الأحداث ، وهذا العنصر هو الأساس في القصة ، الذي تبنى عليه ، بل هو صلب الحكاية أو ما يسمى بالمتن القصصي ، ولابد أن تكون أجزاء الحدث متصلة ، ووقائعه متلاحمة بحيث يأخذ بيد القارئ أو السامع إلى الأثر الكلي الذي يوحي بأن للأحداث في صلب القصة معنى. ثانياً: الشخصيات ، وهذا العنصر تدور الأحداث من خلاله ، سواء وقعت منه أو عليه ، وشخصيات القصة تتشكل من خلال أحداثها كل ملامحها وسماتها سواء أكانت شخصيات نامية متطورة ، أم شخصية ثابتة جامدة ، أو كانت شخصيات رئيسة أو ثانوية ، فهي عنصر فاعل في بنية القصة وتكوينها لا يمكن إغفاله. ثالثاً: البيئة الزمانية والمكانية ، فلابد لكل حدث من شخص أو أشخاص يوقعونه ، حسب القاعدة التي تقول: "كل حدث لا بد له من محدث" ، وإذا توافر الحدث ومحدثه فلا بد من زمن يقع فيه الحدث ، فليس هناك حدث خارج دائرة الزمن ، كما أنه لا بد من مكان يقع عليه هذا الحدث ، ويتحرك في جنباته محدثه ، وهو ما نطلق عليه البيئة الزمانية والمكانية للأحداث داخل بنية القصة. رابعاً: الحبكة القصصية: ويقصد بها منهج الكاتب في عرض أحداث قصته ، والخطة التي يتحرك أبطال قصته على أساسها ، وطريقة

تنظيم كل ذلك ، ومن خلالها لا يحدث الصراع ويتنامى ، حتى يصل بالملتقي إلى ما يعرف بالعقيدة ، ثم يأخذ بيده تدريجياً في اتجاه الانفراجية المؤدية إلى الحل ، وتمثل الحبكة القصصية الرابط الأساسي الذي يحكم به نسيج القصة وبناءها معاً ، ويجذب المتلقي ، ويجعله مشدوداً بكليته مع حركة الأحداث ، ولا بد للحبكة أن تكون دقيقة قابلة للتصديق ، لا يقوم على المصادفة وحدها. خامساً: الحوار ، وهو ما يحدث بين أشخاص القصة تعبيراً عن جانب من الأحداث والتفاعلات ، بحيث يكشف عن الجوانب النفسية للأشخاص ويفلسف الواقعات ، سواء تم ذلك من خلال المشافهة بين أبطال القصة وشخوصها ، أو من خلال سرد القاص لما يتردد بين هؤلاء الشخوص ، أو كان حواراً وثائقياً تتحدث فيه الوثائق المكتوبة مثل الرسائل والوصايا ، أو الأخبار المنشورة..الخ. سادساً: أسلوب القاص وطريقة عرضه ، وهذا عنصر شديد الأهمية لأن الأسلوب إذا كان ركيكاً مفككاً جاءت القصة مهلهلة النسج ، غامضة المعاني وكذلك طريقة العرض إذا لم تكن جيدة منظمة ، جاءت الأحداث مختلطة متداخلة لا تغري القارئ بالمتابعة المستمرة ، وسرعان ما يصاب بالملل لكثرة ما سيلقاه من تعقيدات وغموض بسبب هذا الخلط والتداخل. ويتوارد إلى الذهن سؤال هو: هل عرفت القصة التي بيناها في أدبنا العربي قديماً؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن النقاد أمام قضية وجود القصة في أدبنا العربي القديم ، أو عدم وجودها انقسموا إلى ثلاث فرق: الفريق الأول يرى أن العرب لم يعرفوا القصة ، وإن الأمة العربية والتراث الإسلامية خلو من الفن القصصي ، وإنهم لا يعرفون القصة والفن القصصي ، وأول من تبنى هذا الاتجاه هم واضعو دائرة المعارف البريطانية في الجزء الخاص بالأدب الإسلامي ، فهم يرون أن الأدب التمثيلي ، وأدب القصص من الفنون المحرمة والممنوعة في الإسلام. كما اتجه نفس الوجهة الأستاذ / أحمد حسن الزيات ، وإن اختلف تبريره ، حيث قال موضحاً: القصص فن من فنون الأدب الجليلة ، له عند الفرنج مكانة مرفوعة ، وقواعد موضوعة ، أما عند العرب فلا خطر له ، ولا عناية به ، لانصرافهم عما لا رجع للدين منه ، ولا غناء لملك فيه ؛ وللأسباب التي دعت إلى قصورهم في الشعر القصصي ، وهي أن مزاولة هذا الفن تقتضي الروية والفكرة ، والعرب أهل بديهة وارتجال ، وتطلب الإلمام بطبائع الناس ، وقد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم ، وتفتقر إلى التحليل والتطويل ، وهم أشد الناس اختصاراً للقول ، وأقلهم تعمقاً في البحث ، وقد قل تعرضهم للأسفار البعيدة ، والأخطار الشديدة ، وحرمتهم طبيعة أرضهم ، وبساطة دينهم ، وضيق خيالهم ، واعتقادهم بوحدانية إلههم كثرة الأساطير ، وهي من أغزر ينابيع القصص ، كما أن هذا الفن نوع من أنواع النثر ، والفن الكتابي أو النثر الفني ظل في حكم العدم أزمان الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى آخر الدولة الأموية حين وضع ابن المقفع الفارسي مناهج النثر ، وفكر في تدوين شيء من القصص. ومن الذين جردوا أدبنا القديم من فن القصة الأستاذ / يحيى حقي حيث ذهب إلى أن القصة العربية نشأت حقيقة تحت التأثير الأوروبي ، فقد حملت الرياح التي تهب من أوروبا بذرة غربية على المجتمع العربي ، بذرة القصة ، كما ذهب إلى أن ما يحويه التراث العربي من قصص على شكل سير وأخبار ومقامات ما هو إلا فتات فني تنقصه الوحدة ، وأشار إلى مثل هذا بطرس البستاني في معرض حديثه عن نشأة القصة عند العرب ومنزلتها حيث قال: إنه لم تأتنا عنهم (أي عن العرب) قصص راقية الفن ، وإنما جاءنا حكايات ، ومقامات ، وأحاديث ، وإن كان قد ناقض نفسه بعد كلمات قليلة من قوله هذا حيث قال: "ثم كان عصر الانحطاط ، فانحدرت القصة انحداراً مشؤوماً وآلت لغتها إلى العامية ، أو ما يشبه العامية ، وأصبحت عبارة عن تعداد حوادث خارقة يشترك فيها الإنس والجن ، ولا تصور في أكثر وجوهها الحياة الطبيعية التي يحياها الإنسان. على أنه ما انتشرت الثقافة الغربية في القرن الفائت (أي في القرن التاسع عشر) ، واطلع الكتاب على القصص الأعجمية حتى أكبوا على نقلها. فأي قصص هذه التي انحدرت انحداراً مشؤوماً قبل القرن الفائت كما يقول؟ إنها بلا شك قصص عربية قديمة

وجدت في أدبنا العربي ، وأصابها ما أصاب الأدب على وجه العموم شعره ونثره من انحطاط. وهو بهذا ينقض ما قرره آنفاً بشأن عدم وجود قصص في أدبنا العربي القديم. ولقد تصدى للرد على هذا الادعاء بعدم وجود قصص تمثل فناً راقياً في أدبنا العربي القديم كثير من النقاد ، مبينين أن مثل هذا الادعاء فيه كثير من الافتراء والمغالطة لحقائق التاريخ الأدبي في اللغة العربية ، وإن مثل هذا الادعاء والإنكار سواء من الغربيين أنفسهم ، أو من النقاد العرب إنما جاء لأنهم وضعوا القصة الغربية بمفهومها الغربي ، وصياغتها الخاصة كأنموذج فبحثوا عن مثل هذا اللون في التراث العربي فلم يجدوا ، وهذا مقياس خاطئ في تعميم عدم وجود الفن القصصي في الأدب العربي ، فالقصص في العربية له خصائصه ومناهجه وألوانه ، وأشكاله في تصوير المجتمع العربي ، بآماله وآلامه ، وواقعه وأحلامه. ومن النقاد من يرى ، أن العرب قد عرفوا هذا الفن ، وإن اختلف مفهوم القصة الغربية عنه لاختلاف خصائص حياة الغرب عن حياة العرب ، وتباين الطبيعة الغربية عن الحياة العربية ولأن الفن إذا ما نبع في أمة ما ظهرت معه مكونات أدبها وتطورها الحضاري ، والمقومات الحضارية ، والجذور الثقافية. والاختلاف الملحوظ بين القصص في الشرق والغرب ناتج عن التباين الفكري بينهما ، وبصرف النظر عن نوع القصة أو اسمها وعدد كلماتها وشخوصها ، يوجد كثير من أشكالها عند العرب ، نجد القصة ، والأقصوصة ، والرواية ، والنبأ ، والخبر ، والأسطورة ، والمقامة ، وهي الأصول التي قام عليها بناء القصة الغربية التي لم يتفق كتاب الغرب على تحديد لها. وعلى أساس الاختلاف والتباين بين الحياة العربية وحياة الغربيين ، وكذا اختلاف الطبيعتين العربية والغربية رفض بعض النقاد قياس فن القصة عند العرب قديماً بمقاييس هذا الفن في العصر الحديث ، لأنه متأثر تمام التأثر بالاتجاهات الأوروبية منذ بدايات القرن التاسع عشر ، وذلك لاختلاف الظروف ، ويقرر صاحب هذا الاتجاه ، أنه ليس صحيحاً أن العرب القدامى لم يعرفوا القصة لمجرد أن خصائص القصة الحالية لا تنطبق على القصص كما عرفها العرب ، وهذا شبيه بقولنا تماماً: إن الأقدمين لم يعرفوا البيوت لمجرد أنهم لم يسكنوا العمارات والفيلات التي نسكنها اليوم. ولا ينكر كاتب كبير ، وناقد معروف كالدكتور الطاهر أحمد مكي وجود القصة في أدبنا العربي القديم بل يقول: "فيتصورن أن القصة موجودة في التراث العربي ، لا بمواصفات القصة الفنية الحديثة بالطبع ، ولكن بمميزات خاصة فرضتها طفولة هذا الفن وبداياته ، ولا عيب في ذلك ، فالقصة الأوروبية الحديثة نشأت في بداياتها في العصور الوسطى متأثرة بأصول عربية واضحة كقصص السندباد ، وكليلة ودمنة ، وحي بن يقظان ، بل ووجدت أشكال مختلفة للقصة في التراث العربي ، ولكل شكل مميزاته الخاصة ، فالقصة في السير تختلف عن القصة في بخلاء الجاحظ ، وهذه تختلف تماماً عن القصة في المقامات. أما الدكتور/ شوقي ضيف ، فقد أفاض الحديث حول هذا الموضوع في كتابه تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، وعاد للتطرق إليه في العصور الأخرى ، وفي كتابه الفن ومذاهبه في النثر العربي حيث قال: "من المحقق أنه وجدت عندهم (أي عند العرب) ألوان من القصص ، والأمثال ، وسجع الكهان ، ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفاً شديداً. وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر ، وما يبدأ أحدهم في مضرب خيامهم بقوله: "كان ياما كان" حتى يرهف الجميع أسمعاهم إليه ، وقد يشترك بعضهم معه في الحديث ، وشباب الحي ، وشيوخه ، ونساؤه وفتياته المخدرات وراء الأخبية ، كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة ، ومن غير شك كان يفيض القصاص على قصصه من خياله ، حتى يبهر سامعيه ، وحتى يملك عليهم قلوبهم. وقد دون الكتاب العباسيون ما انتهى إليهم من هذا القصص مع تغيير في الصياغة ، وإن كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم ، وظلت تنبض بروحه وحيويته ، وربما كان أكثر ألوان القصص شيوعاً على ألسنتهم أيامهم وحروبهم ، وما سجله أبطالهم من انتصارات مروعة ، وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة ، وكانوا يقصون كثيراً عن ملوكهم من المناذرة والغساسنة ومن سبقوهم أو عاصرهم من ملوك الدولة الحميرية" ، وقد دارت بينهم أطراف من أخبار

الأمم المجاورة لهم ممتزجة بالخرافات والأساطير ففي السيرة النبوية لابن هشام أن النضير بن الحارث المكي كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس أمثال رستم واسفنديار ، وأكثر من يستهويهم من القصص أحاديث قصاصهم عن أيامهم وحروبهم في الجاهلية ، ومن القصص التي استهوتهم قصة (الزباء) ملكة تدمر ، ومن قصص الهوى والغرام قصة المرقّش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف ، ويدخل في هذا القصص بعض خرافاتهم كخرافة "الحية والفأس" والتي نشأ عنها المثل العربي "كيف آمنك وهذا أثر فاسك". وفي كتابه (في الرواية العربية ـ عصر المجتمع) يطلعنا الشاعر المصري المعاصر فاروق شوشة مؤكداً على أصالة فن القصة في أجبنا العربي ، لأن الشواهد تدل على أن هذا الأدب قد عرف القصة في مختلف عصوره ، ففي العصر الجاهلي كانت لهم قصص كثيرة وكانوا مشغوفين بالتاريخ والحكايات ، وقد عرف العرب في الجاهلية ألواناً من القصص ، وكان لهم تراثهم الأسطوري ، وقد استدل خورشيد على أصالة الفن القصصي لدى العرب بما ورد في القرآن الكريم من قصص ، إذ أشار إلى أنه إدراك لخطر القصة وأثرها في نفوس العرب ، مما يدل على رسوخ هذا الفن في تراثهم ، ومن كبار القصاصين وهب بن منبه ، وكعب الأخبار ، وقد ذهب خورشيد إلى أبعد من هذا الزعم فأكد أن القصة عند العرب كانت تحظى بالمقام الأول ، وأنها كانت الفن المفضل عند الغالبية العظمى ، بينما حفلت أقلية خاصة بأمر الشعر والخطابة ، وربما كان السر في انصراف المسلمين عن القصص أنهم اعتبروها من الخرافات الجاهلية فأهملوها خوفاً على دينهم. أما الفريق الثالث ، ويمكن أن نسميه فريق التوفيقيين فعلى رأسهم د: محمد صالح الشنطي الذي حرص على التوفيق بين آراء الرافضين لوجود القصة في أدبنا العربي ، والقائلين بوجود هذا اللون الأدبي بقوله: "إن القصة بمفهومها العام قديمة قدم البشر ولكنها كفن لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر ، وبذور هذا الفن القصصي موجودة في التربة منذ القدم ، وأكمل وجه من وجوهها ما ورد في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم الغابرة ويعتبر القصص القرآني ذخيرة غنية بأروع الأساليب القصصية ، حتى الأساليب الفنية التي لم تظهر إلا في العصر الحديث ، ثم يضيف قائلاً: "وليس من شك في أن الرواية بمفهومها العام ، وكذلك القصة القصيرة من الفنون الأصلية في أدبنا العربي القديم ، ولكن الرواية كفن له تقاليده وقيمه الجمالية المعاصرة وتعبيره عن أوضاع اجتماعية بعينها ، بحيث يرى كثير من الباحثين أنه ارتبط بنشأة الطبقة المتوسطة في أوروبا فهو يعتبر حديثاً ، غير أن التراث الإنساني في هذا المجال ، يظل حقيقة ماثلة ، ولا يضيرنا في شيء أن تكون الرواية الحديثة مختلفة في تقنيتها عما ورثناه ، فلكل عصر ضروراته ومتطلباته ، وبالتالي ليس ثمة قضية تقتضي أن نحتشد لها هذا الاحتشاد. فأصحاب البأس القائل بأن الأدب العربي لم يعرف القصة ولا الرواية لم يتنكبوا طريق الصواب. بل نظروا إلى القضية من زاوية أخرى (هي زاوية المقاييس الفنية الحديثة) ، وليس من زاوية القصة بمفهومها العام كوسيلة للإمتاع والتسلية ، والتذكير بالأحداث المؤثرة ، وليس في هذا خطورة ، بل الخطورة في النوايا ، فهناك من يتعصب ضد الأدب العربي حقداً وكراهية ، وليس توخياً للحق والإنصاف ، وهؤلاء هم الجديرون بالتصدي لهم ، وفضح ادعاءاتهم ، وبهذا الاتجاه استطاع الدكتور الشنطي أن يوفق بين الاتجاهين المتقابلين ، وإن كنا نستشعر أنه أكثر ميلاً إلى رأي القائلين بوجود الفن القصصي في أدبنا العربي ، ونحن نرى أنه من غير المعقول أن نجرد أمة يمتد تاريخها الأدبي إلى ما يقرب من ألفي عام من عنصر أساسي من عناصر الأدب ، ولون على جانب كبير من الأهمية من ألوانه ، وقد اتضح لنا وجود الكثير من القصص والقصاصين في العصر الجاهلي ، ولو لم تكن القصة معروفة ولها تأثيرها في العصر الجاهلي ما خاطب القرآن الكريم مشركي مكة بكثير من القصص المؤثر ، حتى لفظ كلمة قصة واشتقاقاتها المختلفة جاءت في القرآن فيما يزيد على عشرين موطناً ، وساق القرآن الكريم كثيراً من القصص منها القصة القصيرة السريعة الأحداث كقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف! وفي نفس السورة جاءت قصة أهل الكهف ، وقصة موسى والخضر ، وقصة ذي القرنين وجاءت قصة سليمان والهدهد ، وسليمان والملكة بلقيس ملكة سبأ ، وقصة

سليمان والنملة في سورة النمل! وجاءت قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ، وغيرها. كما ساق القرآن القصة المتوسطة الطول كقصة مريم مع قومها ، وجاء القصة الطويلة التي تشبه الرواية في سورة يوسف ، كما ساق القصة البالغة الطول المتعددة المواقف كل موقف في موضع ، ولكن المواقف يتمم بعضها بعضاً حتى تكتمل كما حدث في قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام. وهذا أبرز دليل على أن العرب كانوا يعرفون القصة بكل أشكالها وألوانها ولولا تلك المعرفة ما خاطبهم القرآن بها ، وما قصها عليهم ، وإلى جانب ما جاء في القرآن الكريم من القصص بجد القصص النبوي ، حيث اتبع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أسلوب التربية بالقصة ، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على أصحابه قصص السابقين للعظة والاعتبار ، ومثال ذلك قصة الثلاثة الذين حوصروا في مغارة سد فمها عليهم ، فراحوا يتقربون إلى الله بصالح أعمالهم وكذا قصة الثلاثة المبتلين: (الأعمى والأقرع والأبرص) ، وكذلك قصة الرجل الذي سقى كلباً في صحراء قاحلة فأنقذه من الموت فشكر الله له وغفر له ذنبه..الخ ، ما كان يحكيه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه مقدماً له بقوله:"كان فيمن قبلكم" ، ومثل هذه القصص كانت تتوافر فيها أبرز عناصر القصة الأساسية وهي: الأحداث والزمان والمكان والشخوص. والحوار ، بل وإذا تأملنا جيداً لوجدنا فيه الحبكة القصصية ، هذا إلى جانب أن تلك القصص كانت قصصاً تتميز بالواقعية والصدق ، لأنها تهدف إلى تربية النفوس وتهذيبها ، وليس لمجرد التسلية والإمتاع. ويذهب "بروكلمان" إلى أن فن المقامة القصصي يرجع إلى أيام الجاهلية ، وكانت المقامات عن مجتمع القبيلة ، وفي زمن الأمويين تتخذ شكلاً دينياً ، فإذا هي أحاديث زهدية وعظية تروى في مجالس الخلفاء ، ثم تطور معناها فصارت تقرن بالشعر والأدب وأخبار الوقائع القديمة ، ثم أثرت قصص العادات والتقاليد بدورها في قصص القضايا الاجتماعية التي كانت بواكير للقصة الحديثة العالمية في معنى القصة الفني ، فكان للمقامات العربية تأثير مباشر وغير مباشر في نهضة القصة العالمية. والمتأمل فيما ظهر من ألوان القصص في العصر العباسي المترجم منه مثل كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وما جاء في قصص البخلاء للجاحظ ، وكذلك ما سبقه من قصص في العصر الأموي خصوصاً قصص الحب والتقدير كقصة جميل بثينة ، ومجنون ليلى ، وكثير عزة يرى أن القصة العربية في طبيعتها وأشكالها تتشابه مع بداية القصص عند الأمم الأخرى ، والمنصفون من النقاد لا ينكرون تأثير القصص العربي في القصص الأوروبي ، ولا ينكر منصف أن القصة الحديثة في أدبنا لعربي قد تأثرت بالقصة الغربية ، وسارت على مقاييسها منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن وإن كانت تطالعنا حديثاً بعض القصص التي نرى في منهج كتابتها نزوعاً نحو التخلص من القيود التي فرضها الغربيون على القصة والعودة بها إلى التلقائية البعيدة عن التعقيد ، كما حدث تماماً في الثورة على التقاليد القديمة الموروثة بالنسبة للقصيدة العربية في الشعر. وخلاصة القول: إن القصة قد وجدت في أدبنا العربي القديم في كل عصوره ومنذ العصر الجاهلي وما تلاه من عصور وجدت فئة القصاصين ، وأول من قص من الصحابة الأسود بن سريع ، وقيل تميم الداري ، وهو من أول من جلس ليقص في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ومن أول من قص من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثي ، وقد جلس إليه عبد الله بن عمر وسمع عنه ، وقد أقرته السيدة عائشة رضي الله عنها ، ثم صار القصص مما يلقى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذت له حلقه كحلقة الدرس ، وأول من لزم ذلك فيه ، مسلم بن جندب الهذلي. وقد سبقهم إلى ذلك عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، ثم كان القرن الثاني فجلس الحسن البصري - رضي الله عنه - وكان أصدق القصاصين ، للوعظ ، وكان لكل هذا تأثيره).هـ. ومازال فن القصة قصيرها وطويلها يزداد نمواً ويتطور حتى يومنا هذا! فكم تطبع المطابع من القصص على اختلاف أنواعها وكُتابها وسياقاتها وأسلوبياتها ومضامينها! والأستاذ سلطان المجنوني يختار من القصص الهادفة الجميلة ما يسلي به نفوس سامعيه! ويلاحظ أنه يركز دائماً على الدروس المستفادة من القصة والعبر المستلهمة منها! وإذن فليست القصة عند سلطان المجنوني مقصودة لذاتها بقدر ما يقصد من الدروس

المستفادة! كما أنه يحقق كثيراً من القصص التي يرويها! والتي لا يقع لها على مصدر فإنه يُعلِم مستمعيه أنه وجدها هكذا بلا مصدر تُعزى إليه! وهذا قلما نجده في كثير من القصاص الجاد في رواية القصص كحاطبي الليل! أسأل الله تعالى أن ينفع بالأستاذ سلطان وبما يقدم من قصص هادفة! والرجل ليس بحاجة إلى إطرائنا طرفة عين! فلقد حقق الله تعالى له الشهرة والمجد في آن واحد! فجماهيره بالملايين في شتى بقاع الأرض ، وقصص بالآلاف يقرأها ويستمع إليها جماهيرها الغفيرة! وإنما حاولت بهذه القصيدة وصف شعوري شعراً! والرجل غني عن التعريف! ولا نزكيك يا أخ سلطان المجنوني على الله ربنا! والله حسبك ووكيلك! فنحن لا نزكي على الله سبحانه أحداً أبداً!)

أيقونـــــة القصـــــة احتفـــتْ بتضـــمينِ ... وســـاقها للألـــى يهـــوون (مجنـــوني)

(ســـلطانُ) حُـــزت مـــن البيـــان أعذبـــه ... وحُـــزت دُربـــة توضـــيح وتبيـــين

وللبلاغـــة - فـــي التعبيـــر - بَصْـــمتها ... بكـــل لفـــظٍ - بحُســـن الســـبك - مقـــرون

وللأقاصـــــيص مَغزاهـــــا وزبـــــدتها ... وزادهـــــا ألقـــــاً نـــــصُ العنـــــاوين

وللبـــديع صـــدىً يَـــزين مـــا حملـــتْ ... مـــن الـــرؤى التزمـــتْ أرقـــى المـــوازين

وللفصـــــاحة آفـــــاقٌ بهـــــا احتفلـــــتْ ... قـــــد زخرفـــــتْ بتـــــرانيم وتلـــــوين

وكـــــان (ســـــلطان) أملاهـــــا وحققهـــــا ... فـــــالنص مســـــتيقنٌ ، وغيـــــر مظنـــــون

وزانهـــــا بإضـــــافاتٍ منمقـــــةٍ ... تزيـــــدها ألقـــــاً فـــــي خيـــــر تـــــزيين

واختـــــار أنـــــدى عبـــــاراتٍ مزركشـــــةٍ ... تُبـــــدي الجمـــــال لعشـــــاق المضـــــامين

واختـــــار لهجـــــة مـــــن يرجـــــو نصـــــيحتنا ... يُكـــــرر النصـــــح مصـــــحوباً بتلقـــــين

ولا يمـــــلّ - مـــــن التكـــــرار - محتســـــباً ... عنـــــد المهـــــيمن نشـــــرُ العلـــــم والـــــدين

هـــــو الحـــــريص علـــــى إيصـــــال فكرتـــــه ... حرصـــــاً تُوثقـــــه شـــــتى البـــــراهين

هـــــو المضـــــيف بشـــــاراتٍ لقصـــــته ... وقـــــد يغلفهـــــا بـــــالعطف واللـــــين

هـــــو المحقـــــق لـــــم يـــــرو الهُـــــرا أبـــــداً ... كمـــــا يُروّجـــــه أهـــــل الأظـــــانين

هـــــو المـــــدقق أخبـــــاراً لســـــامعها ... فـــــلا يُغلـــــبُ فيهـــــا أي تخمـــــين

وإن يكـــن لقبـــاً لـــه الجنـــونُ بـــدا ... لكنـــه لـــيس كالبُلـــه المجـــانين!

أراه أفضـــــــــل راو لا يُضـــــــــارعُه ... راو ، وإن خـــــط آلاف الـــــدواوين!

سِـــيماءُ وجهـــك يـــا ســـلطان تُنبئنـــا ... أن المحـــدث مـــن نســـل الســـلاطين

قـــرأتُ آلاف مـــا اقتنيـــتُ مـــن قصـــص ... خطـــت بأيـــدي عمـــاليق دهـــاقين

فمـــا وجـــدتُ لمـــا ترويـــه مـــن شـــبهٍ ... شـــتان شـــتان بـــين التبـــر والطـــين!

فجُلهـــم آثـــر الأمـــوال تجلبهـــا ... فصـــول نـــص بسُـــم العُهـــر مـــدهون

صـــيغتْ بـــلا أدب ســـام ، ولا قِـــيم ... حتـــى تحـــوز الرضـــا ، لـــدى الفـــراعين

وبعضـــها يمـــدح الإلحـــاد منتظـــراً ... رضـــا الأبـــاطرة العِيـــر القـــوارين

وبعضـــها يعـــرض الفجـــور دون حيـــا ... يريـــد حظوتـــه لـــدى الهـــوامين

وبعضـــها الـــدعرُ فحواهـــا ومنهجهـــا ... حتـــى تكَمّـــل أدوار الشـــياطين

وبعضـــها صُـــبغتْ بـــالعهر أســـطرُها ... حتـــى تُـــرَوّج إغـــواء الملاعـــين

وبعضـــها الكفـــرُ – فـــي الـــديار - جنـــدها ... لهـــدم منظومـــة الأخـــلاق والـــدين

وبعضـــها الظلـــم قواهـــا وســـاندها ... للنيـــل مـــن ملـــة الغـــر الميـــامين

مـــن الـــدعاة ســـعوْا فـــي بعـــث نهضـــتها ... وحصـــنوها تباعـــاً خيـــر تحصـــين

(ســـلطانُ) جـــاء بمـــا يرويـــه مـــن قصـــص ... غيثـــاً يُـــرَوّي مجاهيـــل الملايـــين

فقـــصّ مـــا قـــصّ مُســـتلاً مهنـــده ... فالـــدارُ ضـــاقت بكيـــدٍ جـــدّ مفتـــون

ســـاق البـــديلَ روايـــاتٍ مهذبـــة ... وأثمـــر السَـــوْقُ نفعـــاً غيـــر ممنـــون

تُعلـــم النـــاسَ آدابـــاً تُـــؤهلهم ... كـــي يُـــدركوا همـــم الأسْـــد العـــرانين

تُنـــاولُ الخلـــق مـــا عُلمـــت مـــن مُثَـــل ... بـــلا مجاملـــةٍ ، أو بعـــض تدشـــين

وتُنـــذر النـــاس عـــن ســـوآى تحيـــقُ بهـــم ... وترســـل اللـــوم بـــين الحـــين والحـــين

نجحـــت فـــي جانـــب الإســـقاط معتمـــداً ... علـــى الرشـــاد يُســـلي كـــل محـــزون

وللصـــــحابة قســـــط فـــــي روايـــــتكم ... بســـرد نـــص - علـــى التحقيـــق - مـــوزون

لـــم تُلـــف حاطـــب ليـــل لا يُحقـــق مـــا ... يرويـــه مـــن قصـــص بالصـــدق مرهـــون

فكـــم بكينـــا مـــن الروايـــة انتظمـــت ... تـــأوي - لـــنهج شـــديد الوقـــع - مســـنون!

وكـــم ضـــحكنا لِمَـــا تزجيـــه مـــن مُلـــح ... تســـبي فـــؤاد كســـير الـــنفس مَغبـــون!

وكـــم رثينـــا لِمَـــا ترويـــه مـــن شـــجن ... بـــروح مبتـــئس وقلـــب مشـــجون!

وكـــم دعوْنـــا - لـــك - الـــرحمن فـــي شـــغفٍ! ... وأمـــرُ ربـــك بـــين الكـــاف والنـــون

أعانـــك الله يـــا (ســـلطانَ) صـــحوتنا ... وعشـــت مـــا عشـــت فـــي عـــز وتمكـــين!

شمس الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهّاب)

(إن عندليب الجزيرة العربية الشادي بالتوحيد والمغرّد بالعقيدة وشمس جزيرة العرب وقمرها المنير وينبوع عزها وأكسير مجدها هو مجدد القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى - ، وإن كانت هناك مجموعة شمسية فهم أولاده وأحفاده ممن سار منهم على منهاجه! لقد تصدى الشيخ للبدعة وللمبتدعين وجاهدهم بالقرآن والسيف جهاداً كبيراً! ولم يزل الشيخ - رحمه الله - يجاهد أهل البدع والضلال حتى لحق بالرفيق الأعلى تبارك وتعالى! ومن هذا المنطلق استحق هذه التحية الشعرية التي أكتُبها وعمري 32 سنة!)

يـــا يراعـــي ، حبّـــر حـــروفَ العِبـــارة ... ثـــم صـــرّحْ بمـــا احتوتـــه الإشـــارة

فـــابنُ عبـــد الوهّـــاب شـــمسٌ أطلـــتْ ... ثـــم حـــازتْ – بـــين النجـــوم - الصـــدارة

بـــــددتْ أرجـــــاسَ الـــــدجى بســـــناها ... وأزاحـــتْ – عـــن القلـــوب - المـــرارة

أمّـــة كـــان الشـــيخ فـــي عصـــر جهـــل ... وانحطـــاطٍ ، ففـــي العقـــول حجـــارة

لـــم يقـــلْ: وحـــدي والعـــدوّ كثيـــرٌ ... والـــدواهي – مـــن العِـــدا – فـــي الصـــدارة

تخـــذ العلـــمَ والجهـــاد ســـبيلاً ... وانبـــرى فـــي كـــلِّ يحـــوز الإمـــارة

واجـــه الشـــرك فـــي رباطـــة جـــأش ... ومِـــن العلـــم كـــان قـــدحُ الشـــرارة

فاســـتجاب لِمَـــا يقـــولُ أنـــاسٌ! ... وأنـــاسٌ بـــاؤوا بخِـــزي الخســـارة

تـــارة بـــالعلم الصـــحيح يُلاحـــي ... ويُلاقـــي الأعـــداءَ بالســـيف تـــارة

ثـــم باتـــت بـــه الجزيـــرة صـــرحاً ... وغـــدتْ – بالتوحيـــد – أبهـــى منـــارة

واســـتنارت – بـــه - الـــديارُ ، وعـــزتْ ... وتحـــدّتْ – بالـــدين – أهـــل الحضـــارة

ودعـــاة القبـــور منـــه استشـــاطوا ... غضـــباً لمّـــا خـــط شـــرط الزيـــارة

أشـــعلوا – فـــي الأصـــقاع – فتنـــة حمقـــى ... وأرادوهـــا غـــارة تلـــو غـــارة

ثـــم عـــمّ الـــدجى جميـــع البـــوادي ... فأعـــاد الشـــيخ الضـــيا والنضـــارة

ثـــم مـــات ، والإرث عِلـــمٌ وتقـــوى ... وكتابـــاتٌ تُقتنـــى عـــن جـــدارة

عابدٌ مفترىً عليه

(كثيرون من يَنسبون الحسن البصرى – رحمه الله – إلى الصوفية والمتصوفين الغُلاة. وإنما كان البصرى عابداً فذاً زاهداً بصيراً بالسُنة لا يزيد. ولم يكُ من التصوف وأهله في شئ! ومن هنا دافعتُ بالشعر عن العابد المفترى عليه! يقول الأستاذ الَمُعتَصَمَّ باللَّه أبوُ الحَسَن تَرِكَيّ بَنْ الحَسَن الدَّهمَانيَّ في (الزخرف القصْري في مناقب الحسن البصْري) ما نصه: (إن تَتَبَّع سَيْر الصَّالِحين تهَذَّيبُ للنُفوسِ ، والْبَصْرِيّ وَاحِدُ مَن أُولَئِكَ الَّذِين يُقْتَدَى بَهْم ، فَقَد كَان النَّاس فِي زمَنه يَجْلِسُون إِلَيْه ، وَيَسْتَمِعُون إِلَى مواعظه البَلِيغة ، بَل إن بَعْضَهُم قَد تَفُوتَهُ هَذِه الدُرُوس فيَسأل مَن اسْتَمَع إِلَيْها. وَقَد عُرِفَ عَنه الْفَصَاحَة وَسُرْعَة البَدِيهَة ، سُرْعَة الْإِجَابَة فِي الْمَسْأَلَة ، وَقَد كَان عُمَر بَن عَبد الْعَزِيز شَدِيد الُحبّ لَه لَمَا ، فكَان يُكَاتِبَهُ وَيَطْلُبُ إِلَيْه مَناصحتهِ وَمَوْعِظَتِه).هـ.)

لا لـــــن أمُـــــنّ بتبييـنـــــي وإيضـــــاحي ... فـــــالأمر خُـــــصّ بأفـــــذاذٍ وشُـــــرّاحِ

والعبقـــريّ - علـــى التوحيـــد - منهجُـــه ... ولـــيس يحتـــاجُ مِـــن مثلـــي لأمـــداح

كـــم جاهـــد الفـــذ أهـــلَ الزيـــغ محتسـباً! ... وردّ تضـــليل أهـــل الفســـق والـــراح!

وعَلـــمَ النـــاس ، لـــم يبخـــلْ بمعرفـــةٍ! ... وخـــصّ مـــا استفســـروا عنـــه بإيضـــاح!

ولـــم يكـــن ذلـــك (البصـــريّ) مبتـــدعاً ... ولـــم يُقـــمْ مَولـــداً - حاشـــاه - فـــي الســـاح

ولـــم يبـــعْ - لـــذوي الســـلطان - مِلتـــهُ ... ولـــم يُقـــرّ لمـــن ضـــلوا بإصـــحاح

ولـــــم يُؤصّـــــلْ لأورادٍ مُلفقـــــةٍ ... تُتلـــى بإمســـاءِ مَـــن تـــاهوا وإصـــباح

رأيـــتُ فـــي (الحَسَـــن البصْـــري) مدرســـة ... تســـعى لنشـــر الهُـــدى وبســـط إصـــلاح

قـــد نـــال منـــه الألـــى – والله – مـــا فقهـــوا ... وســـار أشـــياخهم مســـيرَ أشـــباح

قـــد افتـــرَوْا كـــذباً علـــى مُعلمنـــا ... ومـــن أضـــاء الـــدجى - صـــدقاً - كمصـــباح

وعاقـــب اللهُ مـــن ينـــال سُـــمعتهُ ... مِـــن كـــل مُجتـــرئ معربـــدٍ لاحـــي

إن الـــذى خلـــف (البصـــريّ) مِـــن كتـــب ... غـــذاءُ أفئـــدةٍ تســـمو وأرواح

فلـــن يُضـــار بمـــا يقـــول مَـــن هزلـــوا ... وهـــل بَنـــاتُ الثـــرى تُـــزري بـــأدواح؟

يـــا أيهـــا (الحَسَـــنُ البصـــري) نحْـــنُ لهـــا ... نـــذودُ عنـــك بشـــعر – جـــدٌّ – صـــدّاح

عالمُ عصره

(إنه الدكتور عمر عبد الكافي ، العالمُ الذي جمع بين البحث والعلم الشرعي والعلم البحت فكان عالم عصره! وأحببتُ الشيخ منذ الثمانينات وهو يحاضر للمرة الأولى عن (الدار الآخرة) متأثراً بالعلامة الجهبذ الفطحل الشيخ عبد اللطيف المشتهري! وذلك بطريقة عرض تجذب إليها العامّة والخاصّة! فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين! ولذا كتبتُ فيه على البحر الخفيف!)

كُـــلُّ عِلـــم لـــهُ دُعـــاةٌ وساسَـــة ... مَـن غـدَوْا - مِـن بـين الـورى - حُرّاسَـهْ

يبـــذلون - فـــي نشـــره - كـــل جُهـــدٍ ... ولهـــم فـــيمن يجتبيـــه فِراســـة

والســـعيدُ مَـــن عـــاش طالـــبَ عِلـــم ... يصـــطفيهِ لكـــي يُزيـــل التباســـه

(وابـنُ عبـدِ الكـافي) لِمَـا قَلّـتُ أهـلٌ ... زادُهُ العلـــمُ والتقـــى والحماســـة

أحسِـــبُ الفـــذ هكـــذا ، لا أزكّـــي ... والفـــؤادُ يبثـــهُ إحساســـه

نصـــفُ قـــرن مـــع العلـــوم احتسـاباً ... والتلقـــي براعـــةً وكياســـة

حـــارب الشـــيخُ الابتـــداعَ كثيـــراً ... وتحـــدّى الغشاشـــة الدسّاســـة

وانبـــرى للمســـتهزئين ، ولاحـــى ... عـــن حِيـــاض التقـــوى ، وأشـــهرَ باســـه

لـــم يُـــداهنْ ، كمـــا يُريـــدُ الطـــواغي ... لـــم يُـــدَجّل فيمـــا يُســـمى سياســـة

لـــيس هـــذا بالـــدين يأكـــلُ خبـــزاً ... أو بنشـــر الإســـلام يَشـــربُ كاســـه

لـــيس هـــذا للمنصـــب الغـــضّ عبـــداً ... بـــل يـــرى الفســـقَ شاخصـــاً فـــي النخاســـة

عـــالمُ العصـــر كيـــف يرضـــى التـــدني؟ ... إن للتـــــدليس المقيـــــتُ أناســـــه

إن يكـــنْ صـــحوٌ للرشـــاد تبـــدّى ... (فـــأبو حفـــص) قـــد غـــدا نبراســـه

إن هـــذا (فـــاروق) أهـــل زمـــاني ... ومِـــن (ابـــن الخطـــاب) يُزجـــي اقتباســـه

لـــم يخنّـــي التشـــبيهُ ، والـــرب حَســـبي ... تلـــك منـــي اســـتعارةٌ حساســـة

عالِم يفيق أمة

(وهذه تحية شعرية لفقيه مصر الأستاذ العلامة الشيخ الجليل / محمد عبد القصود. وذلك بعد سماعي لمحاضراته عن (العذر بالجهل). وتبعته بمحاضرات أخرى أدركت عبرها من هذا الجهبذ!)

يـا ابـن عبـد المقصـود هـذا سـلامي ... صـــغته شـــعراً يحتفـــي بـــاحترامي

مُعْـــربٌ عـــن حـــب لشـــيخ جليـــل ... فـــي الـــدياجي وافـــي كبـــدر تمـــام

لا أزكّـــي علـــى المليـــك عِبـــاداً ... والمليـــكُ حســـيبُ كـــل الأنـــام

ننـــزل الشـــهم مـــا يُناســـب قـــدراً ... حيـــث قـــام بالنصـــح خيـــر قيـــام

ظـــل يـــدعو بحكمـــةٍ واصـــطبارٍ ... ويصـــول فـــي عـــالم النـــوام

يحمـــل القنـــديل المشـــع ضـــياءً ... ليُبيـــد مـــا عاقنـــا مـــن ظـــلام

ليـــثُ غـــابٍ فـــي أمهـــات القضـــايا ... وعـــن الحـــق ينبـــري ليُحـــامي

وبصـــيرٌ بالفقـــه لـــيس يُبـــاري ... وخطيـــبٌ يختـــار عـــذب الكـــلام

ولـــه فـــي التوحيـــد رؤيـــة فـــذٍ ... وهْـــو فـــي التفســـير خيـــرُ إمـــام

لـــم يحُـــدْ عـــن أســـلافنا قيـــد شـــبرٍ ... إن دعـــا للإيمـــان والإســـلام

وأديـــبٌ عنـــد الخـــلاف رزيـــنٌ ... ولـــه فـــي سَـــوقِ الـــدليل تســـامي

ولـــه فـــي ســـبك الكتابـــة بـــاعٌ ... والضـــميرُ الأحبـــارُ فـــي الأقـــلام

ولـــه فـــي ســـرد الروايـــات صـــبرٌ ... كـــي يقـــود الإقنـــاعَ للأفهـــام

ربِّ بـــارك هـــذا الهُمـــام ، وزدْهُ ... ولـــه اختـــتمْ يومـــاً بحســـن ختـــام

ثـــم لا تحرمنـــا أجْـــوراً جناهـــا ... ثـــم لا تفتنـــا مـــدى الأيـــام

غسان أبو خضرة

(أنشد غسان أبو خضرة فأبدع في إنشاده العذب! وتلا القرآن فأبدع في التلاوة! ووشّح فانطلق في عالم التواشيح إلى غير رجعة ، مستصحباً كل أنواع المقامات والألحان! وهذا المنشد القارئ الموشّح المحاضر لم يقدمه لي أحد. إنما كانت جولة تصفحية للإنترنت ، فعثرتُ على بعض مواده الإعلامية ، تلك التي انفعلتُ لها وتذوقتها ، فكانت سبيلاً للتعرف عليه وإنشاد القصيدة المتواضعة تلك فيه وفي تلاوته وإنشاده وتوشيحه! ولم أجد لها عنواناً سوى إيراد اسمه كما هو! وذلك أن هذا الاسم يغني عن أي عنوان ، ولا أزكّيه على الله تعالى. والله حسيبه ووكيله. وإنما أنا أحسبه هكذا. وأطلب منه أن يوسّع انتشاره أكثر ليعرفه القاصي والداني! في محاولة منه لأن يصل هذا الصوت الجميل العذب الشجي الرخيم إلى آذان المؤمنين في كل مكان! ولقد قال الأستاذ صالح بن أحمد بن محمد الغزالي الأستاذ المشارك بقسم الشريعة بكلية الشريعة – جامعة أم القرى في التعريف بالنشيد الإسلامي ما له وما عليه ما نصه: (إنه من خلال تعريف النشيد يتبيّن أن النشيد نوع جديد من السماع أُحدث في هذا العصر - يحتاج إلى مزيد بحث وبيان حكمه – ويتميّز عن السماعات القديمة المعروفة بالحُداء والنَصْب والشجن. فمن أوجه مخالفته للحُداء والنَصْب: أنه يُسمع ويُنشد في أماكن وأوقات متنوعة ، وغير مقصورة على ما كان يُنشد في الحُداء والنَصْب ، كما أن في النشيد من المقاصد ما ليس في الحُداء والنَصْب ، كإثارة الحماس والغيرة والعواطف الدينية. ومن أوجه مخالفته للغناء: أنه ليس مما يقصد به مجرد التطريب كالغناء ، وليس في كلماته ما هو في جنس كلمات الغناء من الحب والتشبيب والعشق. ومن أوجه مخالفته للسماع الصوفي: أن معنى التعبد والتقرب إلى الله مما لا بد منه في السماع الصوفي بخلاف النشيد ، وكذلك آلات اللهو وكلمات الحب والعشق والغزل لازمة للسماع الصوفي دون النشيد. ويشتمل الكلام على نشأة النشيد الكلام عن أمور: * أصل النشيد. لم يُعرف النشيد بصورته الحالية قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجر ، إلاّ أن له أصولاً قديمة أرجعها المتكلمون على أصله - بحسب رأيهم فيه - إلى أمرين: الأول: أنه امتداد للحُداء والنَصْب اللذين كانا ينشدان في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ومن بعده – رضي الله عنهم - ، مع تطور يسير ، بما يتناسب مع تطورات العصر الحديث. والثاني: أنه موروث عن الطرقيين من الصوفية ، مع تعديل لا بأس به في كلماته كالبعد عن الشركيات. أو غياب كثير من آلات اللهو في كثير منه. وأما مبتدأ النشيد فإنه لم يعرف بصورته الحالية قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، الذي اصطلح على تسميته فيما بعد بعقد الصحوة الإسلامية ، وكان ذلك في مصر والشام ، ثم انتشر في بقية البلدان. المطلب الثاني: ابتداء النشيد في مصر والشام ، ثم انتقاله إلى بقية البلدان. كتب الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – عام 1954م ، مقدمه لمجموعة من الأناشيد الدينية ، للشاعر محمود أبو الوفاء ، وضمّنها معنى الأناشيد الإسلامية اليوم، وقال: "هذه الطبعة الجديدة من الأناشيد ، فقد تمت بناءً على رغبة بعض العاملين في حركة الإحياء الإسلامي ؛ لتنتفع بها ناشئة المسلمين ، أو ينتفع بها غيرهم ممن يريد أولياؤهم أن ينشأوا في ظلال الإيمان ، أو يتذوقوا حلاوة روح الدين". لقد كان الداعي إلى ظهوره وانتشاره أسباباً منوعة ، وأهمها: الأول: انتشار الأغاني الخليعة مما دعا أهل النشيد إلى منافستها والحد من انتشارها بواسطة بدائل النشيد. الثاني: انتشار الصحوة الإسلامية ، لاسيما التجمعات الدعوية ، والجماعات الإسلامية ، الذين رأوا النشيد من ضرورة أساليب الدعوة. الثالث: تسلط الكفار على المسلمين ، واغتصاب أراضيهم ، لاسيما فلسطين (ردها الله من الغاصبين) وظهور الحركات الجهادية في مقاومة الكافرين).هـ. فتحية قلبية للقارئ المنشد غسان أبو خضرة!)

شـــــدا الفـــــؤادُ بأنغـــــامٍ وألحـــــانِ وأذهبـــتْ روعـــــة الإنشـــادِ أشـــجاني

وأطربتنـــــــي تـــــــرانيمٌ مُزركشـــــــة صُـــــبتْ بقافيـــــةٍ شـــــجوى وأوزان

فبـــتّ - مِـــن أرَج الأصـــداء - مبتشـــراً والـــروحُ تســـبحُ فـــي تقـــوى ، وتحنـــان

أرجّـــع اللحـــنَ - تلـــو اللحـــن - مُحتفيـــاً بباقـــةٍ أصـــبحتْ فرْحـــي وسُـــلواني!

والـــنفسُ فـــاض - بهـــا الحنـــينُ - مُلتحفـــاً زخـــارفَ الشـــدو ، تغـــزو كـــل آذان!

وداعـــبَ القلـــبَ تحبيـــرٌ يُســـامرُه مُنغمـــاً جَـــاء مِـــن تأويـــب (غســـان)

فـــاق الجميـــعَ ، ولـــم يُحـــاكِ مَـــن ســـبقوا ولـــم يـــزلْ يُتحـــفُ الـــدنيا بألحـــان

(غســـان) غـــرّدْ بمـــا أوتيـــت مِـــن طـــرب واجهـــرُ بصـــوتٍ علـــى أســـماعنا حـــاني!

وكُـــن بـــديلاً لأصـــحاب الغنـــاء ، ولا تحفـــلْ بمـــا صـــنعوا مـــن كيـــد شـــيطان!

أنشـــدْ – بصـــوتك - أشـــعاراً مُعَبّـــرة وإن تكـــنْ شـــطنتْ عنـــا بأزمـــان

واربـــأ بنفسِـــك أن ألقـــاك فـــي تِـــرةٍ إنـــي عهـــدتُك ذا عـــزم ورُجحـــان

ألا تـــرى هجمـــة تغتـــالُ هيبتنـــا يُثيرُهـــا شـــرّ أقـــوامٍ وأعـــوان

تنـــالُ مِـــن قـــيم أرســـتْ دعائمَهـــا شـــريعة نصّـــها مِـــن وحـــي قـــرآن

يقودُهـــا الغـــربُ فـــي ســـر وفـــي علـــن مستصـــحباً كـــلَ غـــدار وخـــوان!

يســـتبدلون - بشـــرع الله - بـــاطلهم بكـــل مَخبثـــةٍ رُزقـــوا وطغيـــان

وأفقـــدوا عـــالَمَ الإنشـــاد طهرتـــه وأدخلـــوا الـــذوق فـــي أوحـــال عصـــيان!

و(الـــرابُ) و(الجـــاز) فـــي الأصـــقاع شـــاهدة أن الـــديارَ غـــدتْ مـــأوى لنـــدمان

وأصـــبحتْ مُوضـــة التقليـــد ســـائدة تـــأتي بكـــل صـــدىً - فـــي الـــدار - رنـــان

(غسّـــان) وشِّـــحْ ، وأطلقهـــا مُدوّيـــة رخيمـــة الصـــوت تســـبي كـــل هيمـــان!

لا فـــضّ فـــوك ، ولا حُســـادك انتصـــروا يومـــاً عليـــك ، وعِشـــت مُبجّـــل الشـــان!

وعشـــت مـــا عشـــت تُشـــجينا ، وتُطربنـــا بنبـــرة المُشـــفِق المُستبصـــر الـــواني

وإنْ تكـــن عشـــت فـــي منفـــى تضـــيق بـــه إذ لـــم تعـــد عِيشـــة تُرجَـــى بأوطـــان

نأيْـــت لمّـــا رأيْـــت الـــدارَ قـــد سُـــلِبتْ وكابـــدتْ كيـــدَ طـــاغوتٍ وعُـــدوان

ولـــم تعـــد - لرطيـــب العـــيش - صـــالحة ... وسُـــربلَ العِـــز فـــي سِـــر وإعـــلان

واحـــتجّ قـــومٌ علـــى الأوضـــاع ، فـــامتحِنوا ... وبـــاء مَـــن رضـــخوا بســـوء خســـران

واســـتأثرتْ - بخيـــور الـــدار - شـــرذمة ... ولـــم يكـــن بأسُـــهم إلا بســـلطان

وبـــات عِبئـــاً - علـــى الأحـــرار - يُحـــرجُهم ... وخيبـــة جثمـــتْ فـــي كـــل بلـــدان

(غســـان) رتـــلْ كتـــاب الله مُقتـــدياً ... بخِيـــرة الصـــحب فـــي تقـــوى وإيمـــان

كتـــابُ ربـــك - للأخـــلاق - يُرشـــدنا ... بـــه نعـــيشُ علـــى نـــور وتِبيـــان

عطـــرْ صَـــلاتك بـــالقرآن فـــي مَـــلأ ... يُصـــغي لصـــوتك فـــي شـــوق وإمعـــان

صـــدقاً تَغنيـــك - بـــالقرآن - مَكرُمـــة ... نعـــم التغنـــي بترجيـــع وإتقـــان!

لمســـتْ فيـــك بـــدايات لمدرســـةٍ ... حِيكـــتْ شـــرافتها مِـــن فـــيض رضـــوان!

وأنـــت - فـــي الغربـــة الشـــجوا - مؤسســـها ... تُزجـــي الحُـــداء كعُربـــون وقربـــان!

تُهـــدي المقامـــاتِ مَـــن يهـــوى طلاوتهـــا ... وتســـتجيشُ شـــجونَ المُكـــرَهِ العـــاني

ونحـــن نشـــكرُ مـــا قـــدمت مِـــن دُرر ... وكـــم يُكافـــأ مِعطـــاءٌ بشـــكران!

تقبـــلَ اللهُ منـــك البـــذلَ أجمعَـــه ... ودُمـــت فـــي سَـــعةٍ ، وفضـــل إحســـان!

غَسان حمدون مفسِّرا

(من يقرأ (من نسمات القرآن) لغسان حمدون يدرك كيف جمع هذا المفسر بين الأصالة والتجديد. ثم امتاز بميزة محترمة جداً هي إسقاط الآيات على الواقع أو ربط القرآن بما نحياه من المتغيرات. وبالرجوع إلى رابطة علماء وأدباء الشام وقفت على هذه النبذة اليسيرة عن الدكتور غسان عبد السلام الواعي الشيخ حمدون. المولود في سورية – حماة. وهو أستاذ دكتور. حصل على شهادة دكتوراه في دراسة وتحقيق المجتزأ من تفسير (تيسير المنان تفسير القرآن) لأحمد عبد القادر الكوكباني ، والشهادة من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في الخرطوم . ونال شهادة الماجستير من جامعة البنجاب في لاهور. ونال شهادة الليسانس من كلية الشريعة في جامعة دمشق. وحصل على قرار بالترقية لأستاذ مشارك مصدقة حسب الأصول. وحصل على قرار بالترقية لأستاذ مصدقة حسب الأصول. ونال شهادة خبرة أكاديمية بالتدريس في جامعة صنعاء – كلية التربية – قسم القرآن الكريم وعلومه و قسم الإسلامية – وذلك لمدة ثماني سنوات اعتبارا من 1996/10/8م في المواد التالية: أصول التفسير ، وإعجاز القرآن ، والتفسير ، وعلم التجويد ، وعلوم القرآن ، والمدخل إلى علم القراءات ، ومناهج المفسرين. ونال شهادة خبرة أكاديمية بالتدريس في الدراسات العليا (ماجستير) بجامعة العلوم والتكنولوجيا للعام الدراسي 1996م-1997م وذلك في تدريس أصول التفسير والتفسير. ونال شهادة خبرة أكاديمية بالتدريس في الجامعة اليمنية في الدراسات العليا (ماجستير) للعام الدراسي 1997م –1998م لمادتي أصول التفسير والتفسير. وحصل على شهادة خبرة أكاديمية بالتدريس بالمعهد العالي للتوجيه والإرشاد الذي لا يزال يدرس به. وحصل على شهادات إشراف على سبع رسائل ماجستير في الجامعة اليمنية وجامعة العلوم التطبيقية وأربع رسائل في جامعة ذمار- اليمن. ونال إجازة بخمس قراءات من شيخ قراء صنعاء (محمد حسين عامر) تغمده الله برحمته مصدقة حسب الأصول. ونال إجازة برواية حفص عن عاصم وعلم التجويد من الشيخ سعيد عبد الله رحمه الله تعالى في مكة المكرمة وتلميذه الشيخ فائز عبد القادر. زنال إجازة بدراسة المخطوطات القرآنية من القرن الثالث الهجري ويعتبر هذا الخط امتداداً لخط القرآن الكريم من القرن الأول والثاني الهجريين ، والإجازة من الأستاذ يوسف ذنون (الموصلي) وهي مصدقة من دار المخطوطات في هيئة الآثار في صنعاء وحسب الأصول. ومن مؤلفاته في مجال التفسير ، تفسير (من نسمات القرآن كلمات وبيان) ، راجعه الدكتور جميل غازي والدكتور عبد الله ناصح علوان والشيخ وهبي سليمان الغاوجي الألباني. وكتاب: (إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى) ، في دراسة مقارنة بين القرآن والعلم الحديث ، والكتاب مقرر في جامعة صنعاء بكلية التربية حسب ما صرحت به كلية التربية بالإفادة المرفقة ، ونشرته دار الفكر المعاصر في صنعاء والكتاب من السلسلة الإسلامية العلمية المقارنة. وكتاب: (كتاب الله في إعجازه يتجلى) والكتاب مقرر في جامعة صنعاء بكلية التربية حسب ما صرحت به كلية التربية بالإفادة المرفقة ، نشره مركز عبادي – صنعاء. وكتب أخرى وأبحاث يطول الحديث عنها! وبعد أن طالعت الكتاب كاملاً ، وعدت فعكفت على دراسته دراسة وافية ، فألفيته سفراً عظيماً من أسفار التفسير ، وطالعته عدة مرات ، واستفدت منه كثيراً ، ومهما تكلمنا عن الأستاذ غسان حمدون ، فما أظننا وفيناه عشر معشار حقه ، ولا نزكي على الله ربنا أحداً ، والله حسيبه ووكيله ، وإنما نحن نحسبه هكذا ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين وعن القرآن وأهل القرآن خيراً كثيراً ، وجعل الله جهاده وتأليفه

ومنافحته عن الحق ودفاعه المستميت عن السنة والدين ، في ميزان حسناته يوم يلقاه. ومن هنا أنشدت قصيدتي أحييه أقول:)

ومـــا العلـــم إلا مـــن تقـــاة المقاصـــدِ ... ويصـــبح أنقـــى بارتصـــاد الشـــواهدِ

ويبلـــغ بـــين النـــاس أســـمى مكانـــةٍ ... علـــيمٌ بـــدين الله جـــمُّ المحامـــد

و(غســـان) فـــي التفســـير أبلـــى بـــلاءه ... وأرســـى بهـــذا الســـفر أقـــوى القواعـــد

فأرســـل فـــي الآفـــاق مِـــن (نســـماته) ... شـــذيً ينفـــع الـــذكرى بعـــذب الفوائـــد

وحقـــــق آراء الرجـــــال مُفنـــــداً ... وغســـان فـــي التحقيـــق أفضـــلُ ناقـــد

ودقـــق فـــي الأفكـــار لمـــا تضـــاربت ... ليســـلم مـــن أهـــل الهـــوى والمصـــايد

ونقّـــح تنقيحـــاً أقاويـــل غيـــره ... ليجتنـــب الأســـتاذ فتنـــة جاحـــد

ولـــم يتعمـــد هضـــم حـــق لســـابق ... فهضـــمُ حقـــوق الغيـــر أعتـــى المفاســـد

ولـــم يختصـــر كـــيلا يُخـــل بفكـــرةٍ ... وأعطـــى إحـــالاتٍ كمثـــل القلائـــد

ولـــم يســـتطل فـــي الشـــرح والبســـط إنـــه ... توسّـــط فـــي إيـــراد أحلـــى الفرائـــد

ولـــم يرتجـــل قـــولاً بـــدون تثبـــتٍ ... وجـــافى غريـــب القـــول مثـــل الشـــوارد

وأســـقط آيـــات الكتـــاب علـــى الـــدنا ... لـــيعلم كـــل النـــاس أحلـــى المقاصـــد

فبـــارك ربـــي جُهـــد فـــذٍ موحـــدٍ ... وجنبـــه الـــدنيا وأحقـــاد حاقـــد

فقـــد فسَّـــرَ القـــرآنَ يرجـــو ثوابـــه ... ومـــدّ لنـــا ـ والله ـ أشـــهى الموائـــد

تحية لكامل أمين

(في السنة الثالثة من دِراستي للأدب الإنجليزي ، في كلية الآداب بجامعة المنصورة وذلك عام 1984مـ ، وكان الدكتور حلمي بدير أستاذ الأدب المقارن بالكلية قد أحالنا إلى ملحمة عين جالوت للشاعر الجهبذ كامل أمين ، في محاولة من الدكتور لوضع مقارنة بين الشعر الملحمي أو ما يعرف بشعر البطولة في الآداب العالمية (العربي والفرنسي والإنجليزي) لأنْ يجعلنا كطلاب نضع أصابعنا على مواطن الخلاف والاختلاف والتفاوت بين الآداب العالمية ، لا أن تكون المسألة على طابعها التقليدي الذي يقدم فيه الأستاذ المعلومة للطالب جاهزة ، أو ما يعرف في الغرب اليوم بالتعليم القائم على الترضيع! كالأم التي ترضع طفلها ، فهي تلقمه ثديها فقط ، ويتولى هو بفطرة الله سحب الحليب ومصه! لم يكن الدكتور حلمي بدير ليفعل ذلك بنا. أما كامل أمين في سطور: فهو شاعر الملاحم الإسلامية العملاق عاش "88 عاما". ولد كامل أمين في طنطا في 5 يوليو 1915م. عاش حياته في ملحمة موصولة الحلقات ، بارزة السمات منذ كان جدُّ والده الحاج إسماعيل "عكّاما" أي جمّالا للمَحمل المصري في زمن الخديوي إسماعيل ، وحتى لحوقه بالرفيق الأعلى مروراً بتمرده على هذا الواقع المفعم بالصعاب ، ورميه بنفسه في أتون الجهاد على أرض فلسطين الباسلة. صدر له أيضاً: ـ ديوان "نشيد الخلود" ـ "ملحمة السماوات السبع" ـ "المشاعل" ـ "الملحمة المحمدية" ـ "عندما يحرقون الشجر" ـ "مصباح في الضباب" ـ "النور الأخضر" ـ "ملحمة عين جالوت" ـ "ملحمة القادسية" "مسرحية إخناتون". اشترك مع متطوعين بكلية الحقوق ضد العدوان الثلاثي عام 1956م. يقول عنه الدكتور حلمي القاعود ما نصه بتصرف: (قبل ربع قرن تقريباً ، رأيت رجلاً أبيض الشعر ، متواضع الهيئة ، يدخل مكتب رئيس التحرير لإحدى المجلات الأدبية ، ويتحدث حول أعماله الشعرية ، وقصائده التي يرشّحها للنشر ، عرفت أن الرجل هو الشاعر (كامل أمين) ، كان له موقف من الحياة والمجتمع ، يقوم على التصور الإسلامي ، ويرفض التصورات العلمانية والماركسية التي كانت سائدة في الواقع الثقافي آنئذ ، وهو ما جعل القوم المهيمنين على الصفحات الأدبية في الصحف والمنابر الثقافية ودور النشر الرسمية ، يقفون منه موقفاً سلبياً ، ويرفضون نشر إنتاجه الشعري والأدبي. وفي مرحلة تالية ، أتيح له أن يجد فرصة مناسبة لنشر بعض أعماله ، سواء في الصحف أو المجلات أو دور النشر الرسمية ، ولكن عودة الماركسيين والعلمانيين إلى الهيمنة مرة أخرى حجبته عن القراء وعن الساحة الأدبية بصورة شبه كاملة! وقبيل وفاته في الأسابيع الماضية اشتد به المرض ، فتوسطت له كاتبة إسلامية عند بعض ذوي النفوذ من مثقفي السلطة وكتابها كي يُعالج لدى المستشفيات المتخصصة على نفقة الدولة ، ووعد هؤلاء بعلاجه ، ولكن مرّ الوقت ، والمرض يرعى جسد الشاعر المسن الفقير ، وتجاهل ذوو النفوذ من مثقفي السلطة وكتابها أمر الرجل ، حتى قضى نحبه ، دون أن تكلف الصحف الرسمية وغير الرسمية نفسها عناء نشر خبر في سطرين عنه ، ولم تستطع أسرته أن تنشر نعياً له! وبالطبع لم يكتب أحد عنه شيئاً ، لا مقالاً ، ولا تحقيقاً ولا متابعة ، مما يحظى به صغار الأدباء اليساريين والعلمانيين ، عندما يصابون بالكحة أو الأنفلونزا! وسمعت أن الكاتبة الإسلامية التي توسطت من أجل علاج شاعرنا الراحل ، أعادت الكرة مرة أخرى من أجل نشر إنتاجه الشعري والأدبي الضخم ، ولكن القوم لن يسمعوا لها لسبب بسيط جداً ، وهو أن كامل أمين "ليس يسارياً ولا علمانياً" ، وقبل ذلك وبعده ، فهو يعبِّر عن تصور إسلامي يرفضه اليساريون والعلمانيون أجمعون!)هـ. أعود إلى كامل أمين الشاعر

فأقول: المهم أنني انطلقت إلى المكتبة الجامعية والأيوبية ومكتبة الجامعة ومكتبة الشامي بالمنصورة لأشتري ملحمة عين جالوت لكامل أمين. فلم أجدها ، فالتمستها في الدار القومية للطباعة والنشر في أول السكة الجديدة بالمنصورة ، وما هو إلا أن وجدتها ، فطالعتها في أسبوعين ، على طول صفحاتها فقلت: والله إن هذا الشاعر يستحق مني تحية على هذا الجهد العظيم. فكانت هذه القصيدة ترجمة لشعوري الذي تولد بعد قراءة ملحمة عين جالوت! رحم الله الشاعر كامل أمين وأدخله الجنة!)

يـــا مُـــبْهج الألبـــاب والأســـماعِ ... ومُطَهّـــم الألفـــاظ بالإبـــداع

يـــا صـــائغاً زبَـــد القـــريض صـــياغة ... أزرتْ بكـــل حَذاقـــة الصـــناع

يـــا شـــاعراً صـــحب القـــريضَ يراعُـــهُ ... فـــي رحلـــةٍ موفـــورة الإمتـــاع

أبحـــرتَ فـــي بحـــر القصـــيد مُشـــمِّراً ... عـــن ســـاعدٍ قـــد فـــاق كـــل شِـــراع

أهـــدي إليـــكَ تحيـــة شـــعرية ... قـــد صـــاغها بســـنا الـــوداد يراعـــي

فـــي (عـــين جـــالوتٍ) رصـــدتَ وقائعـــاً ... مصـــبوغة بعذوبـــة الإيقـــاع

هـــذي الملاحـــمُ رُصـــعتْ بحقـــائق ... إن التمـــاس الحـــق خيـــر طبـــاع

أبياتهـــا عشـــرون ألفـــاً زينـــتْ ... ببراعـــة التصـــوير والأســـجاع

كمُـــل الـــذي قـــد صـــاغهن مواهبـــا ... فـــابنُ الأمـــين بشـــعر (يَعـــربَ) واع

وأمانـــة التـــأليف ســـمتُ نِتاجـــه ... إذ إنـــه لهُـــدى الحنيفـــة دَاع

تـــاريخ مصـــرَ يُصـــاغ شـــعراً نيّـــراً ... ويصـــور الفرســـان مثـــل سِـــباع

وتـــرى القصـــور بهـــا الجـــواري والمـــلا ... وتـــرى علـــى الأصـــقاع بعـــضَ قِـــلاع

والبـــيض فـــي أيـــدي صـــقور الأرض لا ... تـــدع الفـــراعِن غيـــر ســـقط مَتـــاع

والخيـــل فـــي الهيجـــا يُزمجـــر ضـــبحُها ... كـــي يَفـــتح الإســـلامُ بعـــض بقـــاع

مـــن عصـــر فرعـــون إلـــى قطـــز الهُـــدى ... بيـــراع صـــدق لـــيس بالخـــداع

حِينـــاً يبشّـــر بانتصـــار رائـــع ... وتـــراه حِينـــاً مُبكـــيَ الأســـماع

انصحْ وأجرك على الله (مهداة للشاعر عبد الرحيم السعيدي)

(أهدي هذه القصيدة للشاعر الإماراتي الكبير عبد الرحيم إسماعيل محمد السعيدي – حفظه الله – ولا أزكي على الله ربي أحداً. وذلك بمناسبة مجموعته الشعرية الأولى والتي أسماها (فاعذريني) تعبيراً مني عن إعجابي بها! وقد غلب على معظم قصائدها النصح والوعظ واللوم والعتاب. على أنني التقيت بهذا الشاعر عام 1995م هنا في الشارقة ، وتحديداً في مطبعة المعارف ، وأهداني بيمينه مجموعته الشعرية الأولى ، إلا أنني أحس وكأني أعرفه من عقود!)

عطـــــرتَ يـــــا (عبـــــد الـــــرحيم) الجـــــيلا ... والشـــــعرُ نـــــوّرَ – بالرشـــــاد - عقـــــولا

ونفحتنـــــــا بالشـــــــعر أجمـــــــل نفحـــــــةٍ ... وحملـــتَ – وحـــدك – فـــي الـــورى القِنـــديلا

حتـــــى تـــــلألأ – فـــــي الـــــدروب - أريجُـــــه ... والشـــــــعرُ أنـــــدى لـــــذة وقبـــــولا

فتضـــــــمّختْ بشـــــــذاه كـــــــل قريحـــــــةٍ ... تُهـــــدي العفـــــافَ ، وتحمـــــل التبجـــــيلا

وترَفـــــعَ الـــــديوانُ عـــــن مـــــدح الغثـــــا ... فغـــــدا يُقـــــرّعُ تُبّعـــــاً وذيـــــولا

وغـــــدا يُعـــــرّف كـــــل نـــــذل شـــــأنه ... وقصـــــائدُ الـــــديوان أرفـــــع قِـــــيلا

لـــــم يـــــدّخرْ نصـــــحاً يُقـــــوّي عزمـــــة ... إلا وينصـــــــحُ – بالثبـــــات - الجـــــيلا

(عبـــــدَ الـــــرحيم) عبيـــــرُ شـــــعركَ فـــــائحٌ ... وأراه يُتـــــــرعُ أنفســـــــاً ومُيـــــــولا

قلـــــتَ الـــــذي لمّـــــا يقلـــــه فطاحـــــلٌ ... إذ إنهـــــم قـــــد أتقنـــــوا التخـــــذيلا

شـــــابوا علـــــى تطويـــــع إرهاصـــــاتهم ... ولكـــــل بـــــرذون علـــــوْا تقبـــــيلا

بـــــاعوا مشـــــاعرهم بـــــدنيا غيـــــرهم ... والشـــــعرُ أمســـــى – فـــــي الصـــــراع - قتِـــــيلا

لكـــــنّ هـــــذا الليـــــث طـــــوّع شـــــعره ... للخيـــــر حتـــــى لا يكـــــون عمـــــيلا

(عبـــــدَ الـــــرحيم) حبـــــاك ربـــــك عِـــــزة ... وجـــــزاك عـــــن شـــــعر الإبـــــاء جميـــــلا

فلأنـــــت أصـــــدقُ فـــــي الشـــــعور تصـــــوراً ... مـــــن جوقـــــةٍ تســـــتعذب التطبـــــيلا

حَيـــــاك ربـــــك إذ نفحـــــت جراحنـــــا ... وغـــــدا قريضـــــك بلســـــماً معســـــولا

هنيئاً لكِ حلاوة الصبر يا خنساء!

(كلما طالعتُ خبر الصحابية الجليلة تماضر بنت الشريد (الخنساء) ، ووقفتُ على قصة أبنائها الأربعة الذين استشهدوا في القادسية ، استلهمتُ الدروس والعِبر ، ورحتُ أردِّد في نفسي: هنيئاً لك الصبر الجميل ـ عند الصدمة الأولى وبعدها ـ يا خنساء العقيدة والتوحيد!)

حنانيكِ شعرُكِ أزكى الجوى ... وفي خافقيه الفؤادُ ثوى

ألا تذكرين نبيَ الهُدى ... يجاهد بالحق أهل الهوى؟

وكان يثابر في دعوةٍ ... ويصبر عند لقاء القوى

وشعرُك كان له طارقٌ ... إلى قلبه ، وله مستوى

فيَطرب إذ تنشدين لهُ! ... وشعرُك من كل خير حوى

وبعد اتباعك دينَ الهُدى! ... وإيمانُ قلبك كان اللوا

وكان البلاء بأربعةٍ ... إذ ارتحلوا نال منك النوى

تجلدتِ للجُرح رغم العنا ... وكان اصطبارُك نعم الدوا!

هنيئاً لك الصبرُ في محنةٍ ... بها قلبك المستكينُ اكتوى

ولقيا الأحبة في جنةٍ ... تزيل المُصاب إذا ما استوى

شرفتِ بهم في مِهاد الوغى ... بنصر – على الحُسنيين ـ انطوى

وخلد ربُ الورى ذكرَهم ... وتاريخ أعلامنا قد روى

ألا إن هذا هو المبتغى ... لمَن قلبُه بالرشاد ارتوى

بصبركِ صرتِ لنا قدوة ... تبيدُ ـ من القلب ـ لفح الجوى

وتمحو ـ من النفس ـ آلامها ... وتطعن ـ في الروح ـ وخز الخوا

وتدْفعُنا لبلوغ الذرى ... وتؤتي معالمها والصوى

للإسلام عاش ، وعليه مات

(في مجلة الفيصل العدد (239 ص 104) تم نشر قصة إسلام الأستاذ / عبد الحق شرفيس أو كريستيان شرفيس ، كما كان يُعرف سابقاً. والرجل مفكر فرنسي شهير ذائع الصيت. شغف منذ صغره بالقراءة عن الإسلام والعرب. وهداه الله عز وجل للإسلام. وإن كان في إسلامه بعض اللوثات الصوفية. ولكنْ تُشكر له جهود كان قد أداها صادقاً مع الله ، ولا نزكيه على الله. ومنها كتابه (نابليون والإسلام). والذي يكشف فيه عن حقيقة نابليون. وله أيضاً مجلة (الطريق) ومجلة (المعرفة) ، وكان قد أصدرها للدعوة إلى الإسلام. وعاش يمقت الحضارة الغربية الجاهلية العرجاء العمياء. كما أنه أسس (جمعية الإخاء الإسلامي). وشيد أول مسجد في باريس. ونافح عن الإسلام في بلاد الغرب. وتوفاه الله عز وجل عام 1344هـ. وذلك عن ستين عاماً قضى أغلبها في الإسلام. وعاش للإسلام والحمد لله ومات عليه والفضل لله ، ونسأل الله أن يبعثه عليه ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومن هنا كتبت هذه البائية من الوافر للإشادة بهذا المسلم العملاق الفذ. وإنه لشيء عظيم أن يخرج من بين الغربيين مثل شرفيس ، ويكون حجة عليهم وظهيراً للإسلام والمسلمين ، بعد أن كان رأس حربةٍ في الظهور وغصة في الحلوق وناراً تحرق أخضر الحق ويابسه! وكنت سعيداً بمطالعة المقال في مجلة (الفيصل). وأدركت ساعتئذ أن الله تعالى يصطفي من خلقه عباداً صالحين ليبينوا للناس ما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم -. ويكون الأمر أوقع عندما يكون هؤلاء المصطفين من بين أبناء القوم ، ويتحدثون بلغتهم. ويبلي ذلك الفريق الداعي إلى الإسلام بلاء حسناً ليقيم الحجة على غيره.)

يفـــوز بـــوافر الأجـــر اللبيـــبُ ... وتُمحـــق مِـــن صـــحيفته الـــذنوبُ

ويعلـــو شـــأنه فـــي النـــاس قطعـــاً ... ولـــيس لشـــمس سُـــؤدَدِه غَـــروب

ويقضـــي العمـــر فـــي كنـــف المعـــالي ... ســـليماً قـــد نـــأت عنـــه العُيـــوب

مُعـــافىً مِـــن مقارفـــة الخطايـــا ... فكـــل خطيئـــةٍ رجـــسٌ وحُـــوب

و(عبـــد الحـــق) أســـلم عـــن يقـــين ... وزايـــل قلبَـــه الشـــك المُريـــب

فمـــا لله مـــن ولـــدٍ ، ولكـــن ... إلـــهٌ واحـــدٌ فـــردٌ قريـــب

ومـــا لله صـــاحبة ، وحاشـــا ... وقانـــا الله مـــا قـــال الصـــليب

وجـــلّ الله لـــيس لـــه شـــريكٌ ... وإن الكفـــر بـــالمولى ضُـــروب

و(شـــرفيس) الحنيفـــة لـــم يُقصِّـــر ... فهـــذا فـــي حواضـــره خطيـــبُ

لـــذا خـــصَّ الخلائـــق بالوصـــايا ... فهُـــم مرضـــى ، وذاك لهـــم طبيـــب

وجـــادلهم بكـــل هُـــدىً وتقـــوى ... وأســـلوب يجـــود بـــه الأديـــب

بنـــــابليون قـــــد بـــــدأ التحـــــدي ولـــــم تَكسِـــــر يراعتـــــه الخطـــــوب

و(معرفـــــةَ) تُعـــــرّف كـــــل غِـــــر (طريـــــق) الله ، منهجهُـــــا مَهيـــــب

وأرســـــى (للإخـــــاء) الشـــــهم أسَّـــــاً ليـــــأمن - بـــــين إخوتـــــه - الغريـــــب

وفـــــي (بـــــاريس) كـــــان لـــــه انطـــــلاقٌ وأفْـــــق بـــــين مـــــن كفـــــروا رحيـــــب

إذا كـــــان النبـــــي بنـــــى قَبـــــاءً فعبـــــدُ الحـــــق مُتبـــــعٌ لبيـــــب

فمســـــجده - بـــــدار الكفـــــر - صَـــــرحٌ يحُـــــث النـــــاس أن: هيـــــا أنيبـــــوا

ويَـــــدحَضُ مـــــا يُـــــردّده النصـــــارى عـــــن الإســـــلام حتـــــى يســـــتجيبوا

ويُصْـــــلح شـــــأن ديـــــن شـــــوهوهُ ليُرجَـــــع للهُـــــدى مجـــــدٌ ســـــليب

ويـــــدعو النـــــاس ملتمســـــاً هُـــــداهم لأن ضـــــحية الكفـــــر الشـــــعوب

ويُجلـــــي الـــــدربَ محتســـــباً جهـــــوداً! ومرضـــــاةُ المليـــــك هـــــي الكُســـــوب

ومـــــن بلـــــدٍ لأخـــــرى دون يـــــأس ولـــــيس تعـــــوق دعوتَـــــه لغـــــوب

يَـــــذودُ عـــــن الحنيفـــــة مســـــتميتاً ورب العـــــالمين هـــــو الحَســـــيب

وقـــــد آتـــــت دعايتُـــــه ثمـــــاراً فمتبعـــــوه شـــــبانٌ وشِـــــيب

علـــــى الإســـــلام عـــــاشَ ، ومـــــات بَـــــراً وعنـــــد الواحـــــدِ الأحـــــدِ الغيـــــوب

ليس للتوبة ميعاد

(كان ذلك العبد غارقاً في المعاصي والموبقات. ثم انطلق بسيارته التي غرقت به في أعماق الماء. ثم أنجاه الله. فقرّر العودة إلى الله والإقلاع عن المعاصي. أما بداية القصة وأحداثها وكيف سارت بصاحبها قافلة الأحزان فهذا ما نطالعه في مجلة الأمة القطرية عدد (70) بقلم حسين عويس مطر ، قال الراوي: (لقد تغير صاحبي ، نعم تغير ، ضحكاته الوقورة تصافح أذنيك كنسمات الفجر الندية ، وكان من قبل له ضحكات ماجنة مستهترة تصم الآذان ، وتؤذي المشاعر ، نظراته الخجولة تنم عن طهر وصفاء ، وكانت من قبل جريئة وقحة ، كلما تخرج من فمه بحساب وكانت من قبل يبعثرها هنا وهناك ، تصيب هذا وتجرح ذاك ، لا يعبأ بذلك ولا يهتم ، وجهه هادئ القسمات تزينه لحية وقورة كثة ، وتحيط به هالة من نور ، وكانت ملامحه من قبل تعبر عن الانطلاق وعدم المبالاة ، نظرت إليه ، وأطلت النظر ففهم ما يدور بخلدي ، فقال: تريد أن تسألني: ماذا غيّرك؟ قلت: نعم هو ذلك ، فصورتك التي أذكرها منذ لقيتك آخر مرة من سنوات ، تختلف عن صورتك الآن. فتنهد قائلاً: سبحان مغيّر الأحوال ، قلت لا بد أن وراء ذلك قصة؟ قال: نعم ، قصة كلما تذكرتها ازددت إيماناً بالله القادر على كل شئ ، قصة تفوق الخيال ، ولكنها وقعت لي فغيرت مجرى حياتي ، وسأقصها عليك. ثم التفت إليّ قائلاً: كنت في سيارتيى متجهاً إلى القاهرة ، وعند أحد الجسور الموصلة إلى إحدى القرى فوجئت ببقرة تجري ، ويجري وراءها صبى صغير ، وارتبكت ، فاختلت عجلة القيادة في يدي ولم أشعر إلا وأنا في أعماق الماء (ماء ترعة الإبراهيمية) ، ورفعت رأسي لأعلى لعلي أجد متنفساً ، ولكن الماء كان يغمر السيارة جميعها ، مددت يدي لأفتح الباب فلم ينفتح ، هنا تأكدت أني هالكٌ لا محالة. وفي لحظات – لعلها ثوان – مرّت أمام ذهني صور سريعة متلاحقة هي صور حياتي الحافلة بكل أنواع العبث والمجون ، وتمثل لي الماضي شبحاً مخيفاً ، وأحاطت بي الظلمات كثيفة ، وأحسست بأني أهوي إلى أغوار سحيقة مظلمة فانتابني فزع شديد ، فصرخت في صوت مكتوم: يا رب ، ودرت حول نفسي ماداً ذراعي أطلب النجاة لا من الموت الذي أصبح محققاً ، بل من خطاياي التي حاصرتني وضيقت عليّ الخناق. أحسستُ بقلبي يخفق بشدة فانتفضت ، وبدأت أزيح من حولي الأشباح المخيفة وأستغفر ربى قبل أن ألقاه ، وأحسست كأن ما حولي يضغط عليّ كأنما استحالت المياه إلى جدران من الحديد فقلت: إنها النهاية لا محالة ، فنطقت بالشهادتين ، وبدأت أستعد للموت ، وحركت يدي فإذا بها تنفذ في فراغ ، فراغ يمتد إلى خارج السيارة ، وفي الحال تذكرت أن زجاج السيارة الأمامى مكسور ، شاء الله أن ينكسر في حادث منذ أيام ثلاثة ، وكنت بصدد إصلاحه ، وقفزت دون تفكير ودفعت بنفسي من خلال هذا الفراغ ، فإذا الأضواء تغمرني ، وإذا بي خارج السيارة ، ونظرت فإذا جمع الناس يقفون على الشاطئ كانوا يتصايحون بأصوات لم أتبينها ، ولمّا رأوني خارج السيارة نزل اثنان منهم وصعدا بي إلى الشاطئ. وقفتُ على الشاطئ ذاهلاً عمّا حولي غير مصدق أني نجوت من الموت وأنني الآن بين الأحياء ، كنت أنظر إلى السيارة وهي غارقة في الماء فأتخيل حياتي الماضية سجينة هذه السيارة الغرقة ، أتخيلها تختنق وتموت ، وقد ماتت فعلاً ، وهي الآن راقدة في نعشها أمامي ، لقد تخلصت منها وخرجت مولوداً جديداً لا يُمِت إلى الماضي بسبب من الأسباب وأحسست برغبة شديدة في الجري بعيداً عن هذا المكان الذي دفنت فيه ماضيَّ الدنس ومضيت مضيت إلى البيت إنساناً آخر غير الذي خرج قبل ساعات. دخلت البيت وكان أول ما وقع عليه بصري صور معلقة على الحائط لبعض الممثلات والراقصات ، وصور النساء عاريات ،

واندفعت إلى الصور أمزقها ، ثم ارتميت على سريري أبكي ، ولأول مرة أحس بالندم على ما فرطت في جنب الله ، فأخذت الدموع تنساب في غزارة من عيني ، وأخذ جسمي يهتز ، وفيما أنا كذلك إذ بصوت المؤذن يجلجل في الفضاء وكأنني أسمعه لأول مرة ، فانتفضتُ واقفاً وتوضأت ، وفي المسجد وبعد أن أديت الصلاة أعلنت توبتي ودعوت الله أن يغفر لي ، ومنذ ذلك الحين وأنا كما ترى. قلتُ: هنيئاً لك يا أخي ، وحمداً لله على سلامتك ، لقد أراد الله بك خيراً والله يتولاك ويرعاك ويثبت على الحق خطاك).هـ. وفي هذه القصة الجميلة عِبرة كبيرة لنا ودرس عظيم هو أنْ لا نسوف توبتنا! فنحن لا ندري متى الأجل! قال لقمان لابنه: يا بني ، لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف ، كان بين خطرين عظيمين ، أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي ، حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو ، الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو. وعن أبي إسحاق قال: قيل لرجل من عبد القيس في مرضه: أوصنا قال: أنذرتكم سوف. ويقول الحسن البصري رضي الله عنه إياك والتسويف ، فإنك بيومك ، ولست بغدك ، قال: فإن يكن غد لك ، فكِسْ فيه ـ أي اعمل عملاً تكون به كيّساً ـ كما كِسْت في اليوم ، وإلا يكن الغد لك ، لم تندم على ما فرطت في اليوم. وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد فرغ من دفن سليمان بن عبد الملك الخليفة الذي كان قبله ، وانتهى من الخطبة التي افتتح بها حكمه بعد أن بايعه الناس ، ينزل عن المنبر ويتجه إلى بيته ، ويأوي إلى حجرته يبتغي أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد ، وذلك العناء اللذين كان فيهما منذ وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك. وما يكاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى يقبل عليه ولده عبد الملك ـ وكان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره ـ ويقول له: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا بني ، أريد أن أغفو قليلاً ، فلم تبق في جسدي طاقة ، فقال: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: أي بني ، إني قد سهرت البارحة في عمّك سليمان ، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ، ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله ، فقال: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟ فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر ، وأطارت النوم من عينيه وبعثت القوة والعزم في جسده المتعب ، وقال: ادن مني أي بني ، فدنا منه ، فضمّه إليه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي ، من يُعينني على ديني ، ثم قام ، وأمر أن ينادي في الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها إلى أمير المؤمنين. أعجبتني قصة توبة الشاب الغريق فأنشدت أقول:)

هـــالَ التائـــبَ هـــولُ المنظـــرْ ... والأمـــواجُ تســـلي المُبحـــرْ

وعُبـــابُ المـــاء يُســـامرُه ... والزبَـــدُ ينـــاوي ويُحَـــذر

ويُجيـــب المضـــطرَ المـــولى ... إذ أضـــحى ـ بالدمعـــة ـ يجـــأر

أرســـلها دعـــوة مَســـجون ... منـــه الـــدمعُ غـــدا يتحـــدّر

يبكـــي أوزاراً قارفهـــا ... تعـــسَ الـــوِزرُ ، وخـــابَ المنكـــر!

زيّـــن هـــذا الباطـــلَ ، صَـــحبٌ ... بـــئس الصـــحبُ ، وبـــئس المعشـــر!

لـــــم يتبعـــــوا الحـــــق ســـــبيلاً ... يرشـــــدُ محتـــــاراً يستبصـــــر

لكـــنْ - فـــي شِـــقوتهم - ســـقطوا ... والشـــــهوات إليهـــــا المَعبـــــر

والإمّعـــــــة اتبـــــعَ رضـــــيّاً ... وبهـــــزل الخـــــلان تـــــأثر

إنْ شـــــربوا الخمـــــرة بـــــاركهم ... واســـــتلمَ القـــــدحَ لكـــــي يَســـــكر

وإذا مـــــا انطلقـــــوا لقمـــــار ... شـــــاركهم فـــــي لِعْـــــب المَيســـــر

وإذا مـــــا تبعـــــوا ســـــاقطة ... غازلهـــــا بـــــاللفظ ، وأكثـــــر

وإذا مـــــا التمســـــوا معصـــــية ... شـــــارك فيهـــــا ، لـــــم يتـــــأخر

وإذا عـــــاث الصـــــحبُ فســـــاداً ... عـــــن ســـــاعد باطلـــــه شـــــمّر

حتـــــى كـــــان الحـــــادث هـــــذا ... ســـــأل الله الصـــــفحَ ، وكبّـــــر

وتـــــذكّر ســـــنواتٍ مـــــرّتْ ... خلـــــف ســـــراب العمـــــر الأغبـــــر

ورأى المـــــوت يـــــروحُ ، ويغـــــدو ... ولـــــه نـــــابٌ عنـــــه يُكَشـــــر

والســـــيارة تمضـــــي قـــــدُماً ... للقـــــاع ، ويطويهـــــا المنظـــــر

فـــــي أعمـــــاق المـــــاء تهـــــاوت ... وكـــــأنْ لـــــم تـــــكُ شـــــيئاً يُـــــذكر

والمـــــولى أنقـــــذ ســـــائقها ... لمّـــــا قـــــال: أتـــــوبُ وأقصِـــــر

قـــــد تـــــأتي توبـــــة إنســـــان ... مِـــــن حيـــــث الغافـــــلُ لا يشـــــعر

مـــــا للتوبـــــة مِـــــن مِيعـــــادٍ ... واللهُ يـــــدبّرُ ، ويُقـــــدّر

فلنحســـــنْ دومـــــاً ، ولـــــنخلصْ ... ولنتأمـــــلْ ، ولنتفكـــــر

تحِية للشاعر الخطيب

(تائية الخطيب في السيرة 8000 بيتاً ، تستحق التحية والتقدير. وإن ناظماً نظمها لجدير بالتحية والاحترام. وإن شاعراً صاغها لحري بأن تصاغ فيه تحية شعرية ، تقديراً لجهوده في نظم أحداث السيرة النبوية شعراً. وكانت تحايا الملوك والأمراء مالاً! ولكن تحية الشعراء لا بد من أن تكون شعراً. وإن كان الناس يقولون: العلم رحِمٌ بين أهله من العلماء والدارسين والباحثين ، فإنني أقول: وكذلك الشعر فهو رحمٌ بين أهله من الشعراء والأدباء! وشيء جميل أن يكون هناك شعر يُبيّن ويسهل دراسة السيرة وأحداثها. فمَن الخطيب الشاعر؟ وما تائيته؟

(إنه السيد عبد الحميد ابن أحمد الخطيب (1316هـ إلى 1381هـ). ولد بمكة المكرمة في 24 صفر 1316هـ. وتلقى علومه الأولية على يد كثير من كبار العلماء المسجد الحرام آن ذاك ، وهذا من فضل الله عليه! ومنهم الشيخ سعيد يماني والشيخ عمر بن أبو بكر باجنيد ووالده السيد أحمد الخطيب إمام وخطيب المسجد الحرام مفتي المذهب الشافعي ، رحم الله الجميع. وبعد أن أنهى علومه الشرعية ، تقلد عدداً من الوظائف ، فلقد أجيز مدرساً بالمسجد الحرام ، ثم عين عضواً بمجلس الشورى من 1355هـ - 1366هـ. وفي عام 1367هـ عين وزيراً مفاوضاً لدى دولة الباكستان منذ استقلالها. وعندما استقلت إندونيسيا ، انتدبه الملك عبد العزيز على رأس وفد لتمثيل المملكة في حفل تسليم السلطة من هولندا. وقد عين كأول سفير سعودي لدى دولة الباكستان في ظل حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في عام 1373هـ ، واستمر سفيراً لها حتى عام 1374هـ ، ثم طلب إحالته إلى التقاعد بعد إصابته بمرض القلب ، حيث أشار إليه الأطباء بضرورة التزام الراحة ، فانتقل إلى قرية الزبداني والتي هي أحد أرياف دمشق في بلاد الشام ، واتخذها مقراً له وانصرف فيها إلى الدعوة إلى الله من خلال الصحف والندوات. له العديد من الكتب والمخطوطات تتعدى الـ 14 كتاب ومخطوط ومن أبرزها ما هو قائم في الطباعة بانتشار حتى الآن 3 كتب: أسمى الرسالات ، ويعرض فيه الكاتب مقداراً من الرسائل السامية لنصرة هذا الدين وأهله ، والتي يرى بأن من الواجب أن توصل للأجيال ، لينتفعوا بها كمعينة لهم في سير حياته العلمية والعملية على أسس ومبادئ صحيحة. - تائية الخطيب في سيرة المصطفي الحبيب ، ويعرض فيها الشاعر أكثر من 2000 بيت شعري تصب في مدح قدوتنا وحبيبنا سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، ترويحاً عما بداخل قلبه من جزيل الحب لشفيعنا يوم النشور. - مستقبلك في يدك ، وهي سلسلة تتكون من ثلاثة كتب بمسمى (- متى وثقت بقدرتك) و(- متى عرفت ربك) و(- متى فهمت حقيقة نفسك) ، ويعرض فيه الكاتب العديد من الجمل الروحانية التي تحفز النفس على المواصلة في العطاء والتضحية ، من أجل بناء مستقبل الأجمل في الدنيا والأسمى في الأخرة ، ويذكر فيه بأن الآخرة هي حصيلة عمل الدنيا. - تفسير الخطيب المكي ، ويشرح فيه الكاتب آيات كتاب الله المجيد بتوضيح المعنى اللغوي والشرح والمغزى والحكم من استنباطه وطريقة فهمه لها بعد الرجوع لكتب التفسير المعروفة ، إلا أنه توفي قبل أن يكمل حلمه مفسراً للقرآن الكريم كاملاً متوقفا نشر الكتاب حتى الجزء الثالث والعشرون. - جوهر الدين ، ويبين فيه الكاتب نهج الإسلام الصحيح وحقيقة الدعوة لله والتوحيد الخالص له. - الإمام العادل ، ويعرض فيه الكاتب مواصفات الإمام العادل استنباطاً من حياة الخلافة الراشدة في الطريقة والنهج القويم. وإن كانت تائيته سبب قصيدتنا فلأنه يتعين على الكل اليوم الذود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وصد هذه الحملة المسعورة الشرسة المأجورة ، ودحض هذه الهجمة العاتية الضارية التي تنال

من النبي – صلى الله عليه وسلم - ، تنال من شخصه وعِرضه ودينه وسُنته. لقد ولغ في عرض النبي اليوم كلابُ الأرض من المستشعرين الحثالة والكتاب الأراذل ، فأين أهل الحق الذين سخروا أقلامهم وما يملكون لخدمة النبي – عليه الصلاة والسلام - وسنته ودينه؟ أم أن القضية قضية كلام نظري فقط؟)

نلتَ يا (عبد الحميد) فخارا ... مذ ذكرتَ بشعرك المختارا

وبلغتَ مدىً رفيع المعالي ... ومنحتَ الأنام الاستبصارا

شرُف الشعرُ بالنبي كثيراً ... كل شعر يخصه لا يُبارى

والخطيب لم يدّخر أي جهدٍ ... وله قول الحق أمسى شعارا

فقرأنا (تائية) كاللآلي ... كل بيتٍ يُضفي الوفا والوقارا

سيرة المختار الحبيب مَعينٌ ... وشذاها يُعطر الأشعارا

شرفتْنا بأعظم الناس قدراً ... مَن هُداهُ يُشرِّف الأقدارا

وأبانت دور الألى نصروه ... من يباري في نصره الأنصارا؟

ثم جلت مغازياً كان فيها ... فارساً في حربه مِغوارا

ثم خصّت أزواجه بالتحايا ... واحتوتْ أصحابه الكُرارا

وأحاطتنا عن هُداه بعلم ... والنبي يُعلم الأخيارا

ثم أبدتْ مواقفاً وأموراً ... هي تشريعٌ يُسعد الأبرارا

ثم خطتْ دربا لمن يتصدى ... للذين يؤلفون العارا

فينالون من نبي كريم ... ليُحاكوا الأوغاد والفجارا

أيضير السحابَ نبحُ كلاب؟ ... فليُجبني يهودُهم والنصارى!

إن هذا النبي – بالروح - يُفدى ... ونصِرُّ - على الفدا - إصرار

للشاعر أمل

(يظن كثيرٌ من أصحاب الجرائد والمجلات ، أن أصحاب القيم وحراس المبادئ وأرباب المناقب والفضائل عبيدٌ أرقاءُ عندهم. ويبدو ذلك واضحاً عندما يقصد هؤلاء الأدباء العماليق إلى أصحاب الجرائد والمجلات لنشر ما أفاض الله به عليهم. فبدل أن يلقوا الترحيب وسعة الصدر ، يلقوْن الغمز واللمز وتقطيب الجبين وهز الأكتاف والإيماء بالرؤوس والاعتذار الغث المكشوف. إن هذه القمم من الأدباء والشعراء لا يُشرّفهم بالمرة النشر في جرائد التطويع ولا مجلات الغواية. إن الشرف العظيم يكون لهذه الجرائد والمجلات عندما يتفضل هؤلاء العماليق الجهابذة بالتنازل عن أبهتهم وعزتهم عندما يقبلون النشر في هذي الجرائد وتلك المجلات. وإنه لتواضع غير معهود أن تتنازل القمم أصحاب القيم. وإنها لخيبة كبرى أن يترفع أهل الحضيض أصحاب الرمم. وأراني شاعراً من هذا الطراز ، الذي يعيش لقضية ولمبادئ لا يتنازل عنها مهما كانت التضحيات! فعزمتُ على مواصلة المسير قدماً والاستمرار في إخراج شعري ديواناً يحوي ما أؤمن به وما أمر به. فكان لي أمل كبير أدندن عليه وأحيا له بعد أن أحجمتِ الصحف والمجلات أغلبها عن النشر. إن الشعراء الذين لا يكتبون شيئا يمس واقعهم ولا يتناولون في شعرهم قضايا أمتهم ، ليسوا عندي بشعراء ، بل هم مجموعة من صُناع القريض يُجيدون التقطيع والأوزان ليس إلا! وتبقى أشعارهم كالورد الصناعي (له شكل الورد الطبيعي لا حقيقته)! وكذلك أشعارهم لها شكل الشعر ، ولا تستوعب حقيقته! إن شعر العرب الأصيل كلام موزون مقفى ذو وحدةٍ وقضية!)

أملـــــي بـــــالتعجيز سيُصـــــقلْ ... وســـــــيتحدى ، وســـــــيتحملْ

لـــن ينصـــاع لمَـــن قـــد خـــذلوا ... وأنـــا كـــي يتحقـــق أعمـــل

أملـــي فـــوق الكيـــد ، فكِيـــدوا ... وإبـــائي يجعلنـــي الأكمـــل

وجرائـــدُكم لـــن تســـعفني ... ومجـــلاتُ الباطـــل أرذل

وقريضـــي لـــن يهـــبط أبـــداً ... وعفـــافي يجعلـــه الأجمـــل

وبعيـــداً عـــنكم ســـيغني ... وعلـــيكم لا لـــن يتطفـــل

ســـيُغامر فـــي الـــدرب وحيـــداً ... ولثمرتـــه لـــن يتعجـــل

وأنـــا - فـــوق المحـــن - ســـأخطو ... وعـــن الـــذكرى لا لـــن أغفـــل

أملـــي أقـــوى مـــن بـــاطلكم ... وبرفضـــكمُ لا لـــن يُقتـــل

فـــانتحِروا بـــالحِرص خزايـــا ... ولشـــعري (الـــديوان) الأمثـــل

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (الأئمة الأعلام وبدور التمام)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	ابن مماتي مؤرخ صعيدي	الكامل	شهودي	2
2	الأميرة زبيدة بنت جعفر (طموح يتحدى الواقع)	الخفيف	والتغريدُ	9
3	الشعر العربي يحيي الأميرة زبيدة بنت جعفر	البسيط	أمة العربِ	12
4	جوزيت خيراً يا ابن منصور!	البسيط	يرتشفُ	16
5	الأمير الطيان	الوافر	والكروبُ	18
6	لا فض فوك يا دكتور بدر!	البسيط	ينهزمِ	19
7	تحية لمحمد المجذوب	الكامل	الآلامُ	28
8	الحراس الأمناء	الكامل	والإيمانِ	29
9	جمال الدنيا سراب	البسيط	وبنيانُ	32
10	الشافعي مناظراً!	الرمل	الجاهلية	37
11	رجال ومواقف (الإمام أحمد بن حنبل)	الرمل	مثالْ	40
12	في رحاب الزاهدين	البسيط	ما جمعوا	41
13	سلطان العلماء لا عالم السلاطين	البسيط	سلطانا	47
14	سلطان المجنوني	البسيط	مجنوني	51
15	شمس الجزيرة العربية	الخفيف	الإشارة	63
16	عابد مفترى عليه (الحسن البصري)	البسيط	وشُرّاحِ	64
17	عالم عصره (الدكتور عمر عبد الكافي)	الخفيف	حراسه	65
18	عالم يُفيقُ أمة	الخفيف	باحترامي	66
19	غسان أبو خضرة	البسيط	أشجاني	67
20	غسان حمدون مفسراً!	الطويل	الشواهدِ	70
21	تحية لكامل أمين	الكامل	بالإبداعِ	72
22	انصح وأجرك على الله (عبد الرحيم السعيدي)	الكامل	عقولا	74
23	هنيئاً لكِ حلاوة الصبر يا خنساء	المتقارب	ثوى	75
24	للإسلام عاش وعليه يموت	الوافر	الذنوبُ	7
25	ليس للتوبة ميعاد	المتدارك	المبحرْ	78
26	تحية للشاعر الخطيب	الخفيف	المختارا	81
27	للشاعر أمل	المتدارك	وسيتحملْ	83
الـــــــــ	ـــــــــــفـــــــــــــهـــــــــــ	ــــــــــــــ	ـــــــــرس	84

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (الأئمة الأعلام وبدور التمام)

نبذة عن الشاعر

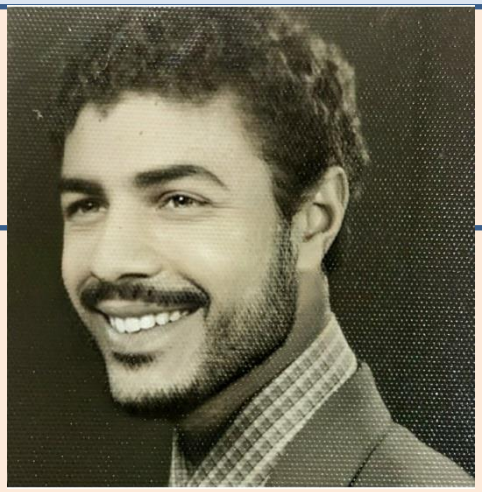

(الشاعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق! معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

أولاً: دواوين الشعر

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية)

ثالثاً: قصائد ذات شأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –

36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)
40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)

71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تعريب تبيني صدق لحامد زيد)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)
80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2)
20 – عندما يُثمر العِتاب

21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية

55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة!
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!

خامساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!